المنهج الدعوي للشيخ جمال الدين القاسمي رحمه الله

Sheikh Jamal al-Din al-Qasimi's advocacy approach

إعداد الدكتور/ محمد بن سامي بن إسماعيل منياوي

الأستاذ المساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية – كلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القرى

Prepare Dr. Muhammad bin Sami bin Ismail Minyawi

Assistant Professor, Department of Da`wah and Islamic Culture

College of Da`wah and Fundamentals of Religion – Umm Al-Qura University

البريد الإلكتروني/msminyawi@uqu.edu.sa

ملخص البحث

يقوم بحث (المنهج الدعوي للشيخ جمال الدين القاسمي) على مقدمة وثلاثة مباحث، وفي المبحث الأول التعريف بمصطلحات البحث، وهي: منهج، دعوة، الشيخ القاسمي، ثم المبحث الثاني وفيه عرض للأصول الدعوية عند الشيخ القاسمي وهي الأول: الاعتماد على نصوص الكتاب والسنة الصحيحة، الثاني: التمسك بمنهج السلف الصالح في جميع مسائل الدين، الثالث: الالتزام بالعقيدة الإسلامية الصحيحة، الرابع: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الخامس: الاعتماد على الحجة والمنطق والبرهان، السادس: نبذ البدع والخرافات والمذاهب المنحرفة والضالة، السابع: التمسك بالوسطية والتحلي بالاعتدال، الثامن: التجديد في الدين ومجانبة التقليد، التاسع: الالتزام بالأخلاق الإسلامية الفاضلة، العاشر: الحرص على وحدة الأمة ونبذ الفرقة والاختلاف في جميع الجوانب، الحادي عشر: الاهتمام بالعلم والتعليم، ثم المبحث الثالث وفيه بيان فوائد دراسة المنهج الدعوي للشيخ القاسمي في العصر الحاضر، ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج.

Search summary

The research (the da'wa approach of Sheikh Jamal al-Din al-Qasimi) is based on an introduction and three investigations, and in the first research is the definition of the terms of research, namely: curriculum, da'wa, Sheikh Al Qasimi, and then the second research, which contains a presentation of the origins of the da'wa at Sheikh Qasimi, the first: relying on the texts of the book and the correct year, the second: adhering to the approach of the righteous predecessors in all matters of religion, the third: Adherence to the correct Islamic faith, 4th: Command of virtue and prevention of vice, V: Reliance on argument, logic and proof, VI: rejection of heresy, superstitions and deviant and misguided doctrines, VII: adherence to moderation and moderation, VIII: renewal in religion and sidetracking tradition, IX: adherence to virtuous Islamic morals, X: Taking care of the unity of the nation and rejecting division and difference in all aspects, XI: attention to science and education, then the third research and in which it indicates the benefits of studying the advocacy curriculum of Sheikh Qasimi in the present era, and then the conclusion and the most important results.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا١﴾ [النساء: ١]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَـٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١]، أما بعد[1]:

فإن الدعوة إلى الله تعالى هي أشرف الوظائف وأرفعها درجة وأعلاها منزلة، قال تعالى: {﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ٣٣﴾ [فُصِّلَت: ٣٣]، وهي وظيفة الأنبياء والمرسلين وأتباعهم من العلماء والدعاة، قال تعالى: ﴿قُلۡ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ وَسُبۡحَـٰنَ ٱللَّهِ

(١) هذه خطبة الحاجة المأثورة عن النبي ﷺ، وكان يفتتح بها كل أمر ذي بال، وقد رواها الإمام الترمذي في سننه برقم ١١٠٥، باب ما جاء في خطبة النكاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ٤٠٤/٢، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ، ١٠٥/٣، وقد جمع الشيخ الألباني الأحاديث الواردة في خطبة الحاجة وتتبع طرقها وأثبت صحتها في رسالته المسماة "خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه"، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٤٠٠هـ.

وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴿١٠٨﴾ [يوسف: ١٠٨]، وهي سبب خيرية هذه الأمة وتفضيلها على سائر الأمم، قال تعالى:

﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ [سورة آل عمران: ١١٠].

وقد سار العلماء والدعاة على حمل راية خيرية هذه الأمة، واعتنوا بالدعوة إلى الله تعالى، وذلك منذ زمن الصحابة رضوان الله عليهم وأرضاهم، وحتى زمننا الحاضر هذا، والأمثلة على أولئك العظماء كثيرة متوافرة، ومن أمثلة من حمل هذه الراية في بلاد الشام المباركة، وكان له الأثر البالغ على أهل عصره، الشيخ: جمال الدين القاسمي –رحمه الله– عالم الشام ومفتيها، الذي عاش في زمن تتقاذفه الاضطرابات السياسية والعلمية والفكرية والاجتماعية، إلا أنه ومع ذاك أعاد بعث روح الدعوة السلفية السليمة في أهل عصره، وبذل جهدا واضحا ومؤثرا في الدعوة إلى الله تعالى.

ولإبراز ذلك الجهد المبارك، وإدراكا للحاجة إلى نماذج بارزة للدعوة في العصر الحديث، جاءت فكرة كتابة بحث علمي في هذا الموضوع، ورغبة في التزود من العلم النافع، وإسهاما بمسيرة الدعوة إلى الله تعالى، وخدمة للدعاة والعاملين للدين.

أهمية البحث: تبرز أهمية الكتابة في هذا الموضوع عن طريق النقاط الآتية:

١. مكانة الشيخ جمال الدين القاسمي العلمية والدعوية، وكونه من كبار رواد العلم والدعوة في زمانه.
٢. اهتمام الشيخ جمال الدين القاسمي بنشر الدعوة السلفية السليمة بعد اندراسها في بلاد الشام.
٣. حاجة الدعوة في هذا العصر إلى الأمثلة الدعوية المعاصرة، لتكون قدوة وأسوة دعوية عملية.
٤. توضيح أثر العلم في القيام بالدعوة إلى الله تعالى.
٥. الآثار المشرقة لدعوة الشيخ جمال الدين القاسمي داخل الشام وخارجها، وجوانبها المميزة.

أسئلة البحث: يقوم البحث على سؤال عام هو: ما المنهج الدعوي للشيخ جمال الدين القاسمي؟، ويتفرع من هذا السؤال عدة أسئلة، هي على النحو الآتي:

١. ما المراد بالمنهج، وما المراد بالدعوة؟ ومن هو الشيخ جمال الدين القاسمي؟
١. ما الأصول الدعوية عند الشيخ جمال الدين القاسمي؟
٢. ما الفوائد من دراسة المنهج الدعوي للشيخ جمال الدين القاسمي في العصر الحاضر؟

أهداف البحث: الإجابة على تساؤلات البحث، يمكن تحقيق الهدف العام منه، وهو: معرفة المنهج الدعوي للشيخ جمال الدين القاسمي، والوصول إلى الهدف العام يتم عن طريق تحقيق الأهداف الفرعية التابعة، وهي:

٢. التعريف بالمنهج الدعوي، والتعريف بالشيخ القاسمي.
٣. بيان الأصول الدعوية عند الشيخ جمال الدين القاسمي.
٤. عرض فوائد دراسة المنهج الدعوي للشيخ جمال الدين القاسمي في العصر الحاضر.

منهج البحث: بعد الاطلاع موضوع البحث يمكن للباحث أن يحدد المنهج المناسب للموضوع، والذي سيسلكه في بحثه، والذي يظهر مناسبة المنهج الوصفي التحليلي لطبيعة موضوع هذا البحث، لأنه يقوم على وصف وتفسير وتحليل العلوم الإنسانية، سواء كانت دينية أو اجتماعية أو ثقافية، ثم يقوم على ملاحظة الأحداث التي وقعت، ووصفها، وتعليلها، وتحليلها، ومعرفة التأثيرات أو التطورات للأحداث الماضية، وتأثيرها على الحاضر[١]، وهو بهذا يتناسب مع البحث في هذا الموضوع، إذ يعين على استخراج المنهج الدعوي للشيخ جمال الدين القاسمي، وذلك بالرجوع إلى كتبه ومؤلفاته، وكتب التراجم التي ترجمت له.

مفردات البحث: يحتوي البحث في هذا الموضوع على مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، هي كالآتي:

- **المقدمة.** وفيها ذكر لأهمية الموضوع، وأسئلته، وأهدافه، ومنهجه، ومفرداته.
- **المبحث الأول:** التعريف بعنوان البحث.
- **المبحث الثاني:** الأصول الدعوية عند الشيخ جمال الدين القاسمي.
- **المبحث الثالث:** فوائد دراسة المنهج الدعوي للشيخ جمال الدين القاسمي في العصر الحاضر.
- الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

(١) ينظر: كتابة البحث العلمي صياغة جديدة: د. عبد الوهاب أبو سليمان، ص٣٣، دار الشروق، جدة، ط٦، ١٤١٦هـ.

المبحث الأول: التعريف بعنوان البحث

أولا: تعريف مصطلح "منهج".

التعريف في اللغة: كلمة "منهج" مصدر، وأصلها في اللغة: نهج، وتطلق على عدة معان متقاربة، هي: **الوضوح والبيان والاستقامة.**

قال في لسان العرب: "نهج، طريق نهج: **بيَّن واضح**، ومنهج الطريق: **وضحه**. والمنهاج: كالمنهج. وفي التنزيل: **{لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا}** [المائدة: ٤٨]، وأنهج الطريق: **وضح واستبان** وصار نهجا **واضحا بينا**، والمنهاج: **الطريق الواضح**. وفي حديث العباس: "لم يمت رسول الله ﷺ حتى تركك على طريق ناهجة"، أي: **واضحة بينة**. ونهجت الطريق: **أبنته وأوضحته**؛ يقال: اعمل على ما نهجته لك. ونهجت الطريق: سلكته. وفلان يستنهج سبيل فلان، أي: يسلك مسلكه. والنهج: **الطريق المستقيم**"(١).

وقال في المعجم الوسيط: "المنهاج: **الطريق الواضح، والخطة المرسومة** محدثة، ومنه منهاج الدراسة، ومنهاج التعليم، ونحوهما، الناهج يقال طريق ناهج: **واضح بين**، وطريقة ناهجة: **واضحة بينة**، النهج: **البين الواضح**. يقال: طريق نهج، هو **الطريق المستقيم الواضح**"(٢).

خلاصة البحث اللغوي: بالنظر إلى المعني اللغوي واستحضاره، فإن أقرب تعريف لمصطلح "المنهج" هو: **"الخطة المرسومة الواضحة للوصول إلى شي ما"(٣)، أو: الطريق الواضح البين المستقيم الموصل إلى المطلوب.**

ثانيا: تعريف مصطلح "دعوة".

التعريف لغة: كلمة "دعوة" مصدر، وأصلها في اللغة: دعا أو دعوى، وتطلق على عدة معان متقاربة، منها: **النداء والحث وطلب الحضور، الابتهال والرجاء، الاستعانة والاستغاثة والاحتياج، طلب الخير أو الشر.**

---

(١) لسان العرب: لابن منظور، دار المعارف، القاهرة، ج٦/٤٥٥٤، مادة "نهج".

(٢) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق، القاهرة، ط٤، ١٤٢٥هـ، ج٢/٩٥٧، مادة "نهج".

(٣) ينظر: المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية ج٢/٩٥٧، مادة "نهج".

قال في لسان العرب: "قال الفراء: قوله عز وجل: **{وادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ}** [البقرة: ٢٣]، أي: **اسْتَغِيثُوا** بهم، وهو كقولك للرجل: إذا لَقِيتَ العدوّ خالياً فادْعُ المسلمين، ومعناه: استغث بالمسلمين، فالدعاء ههنا بمعنى: **الاستغاثة**، والدعاء **الرغبة** إلى الله عزوجل، ويقال: دعوت الله له: بخير، وعليه: بشر، ودعا الرجل دعواً ودعاء: **ناداه**، والاسم الدعوة، ودعوت فلانا، أَي: صحْت به واسْتدْعيته، والدُّعاة: قوم يدْعون إلى **بيعة هدى أَو ضلالة**، واحدهم داعٍ، ورجل داعيةٌ إذا كان **يدْعو النَّاس إلى بدْعة أَو دين**، والنبي ﷺ داعي الله تعالى، وكذلك المؤَذِّنُ، قال الله عز وجل مخبراً عن الجن الذين استمعوا القرآن: **{يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ}**[الأحقاف: ٣١]"(١).

وقال في المعجم الوسيط: "دعا بالشيء دعوا ودعوة ودعاء ودعوى: **طلب إحضاره**، دعا بالكتاب والشيء إلى كذا: **احتاج إليه**، دعا فلانا: صاح به **وناداه**، **استعان** به ورغب إليه، ودعا الله: **ابتهل** اليه، **ورجى** منه الخير، ودعا لفلان: **طلب الخير له**، ودعا على فلان: **طلب الشر له**، ودعاه إلى القتال أو إلى الصلاة أو إلى الدين وإلى المذهب: **حثه عليه** وساقه إليه"(٢).

التعريف في الاصطلاح الدعوي: بالنظر إلى المعاني اللغوية واستحضارها، فإن أقرب تعريف لمصطلح "**الدعوة**" هو: "**نداء الناس إلى الله ﷻ إيمانا وتصديقا، وحثهم إلى دين الاسلام اجابة وتطبيقا**"(٣).

التعريف في الاصطلاح الدعوي: مما سبق عرضه من تعريفات لغوية واصطلاحية علمية يمكن تعريف مصطلح: **المنهج الدعوي** في الاصطلاح بأنه: "**نظُم الدعوة وخططها المرسومة لها، وهي: نظام تبليغ الإسلام، ونظام تعليمه، ونظام تطبيقه**"(٤)، أو: **طريق الدعوة الواضح المستقيم الموصل إلى المطلوب منها.**

ثالثا: التعريف بالشيخ جمال الدين القاسمي.

هو أبو الفرج محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم، ولد ضحى يوم الاثنين الثامن من شهر جمادى الأولى سنة ١٢٨٣هـ، بدمشق الشام (١)، وقد عرفت عائلته بعائلة القاسمي نسبة إلى جدهم "قاسم" ويتصل نسبهم

---

(١) ينظر: لسان العرب: لابن منظور، ١٣٨٥/٢، مادة "دعا"، بتصرف يسير.

(٢) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية ٢٨٦/١، مادة "دعا".

(٣) مبادئ علم أصول الدعوة: د. محمد بن يسري إبراهيم، دار طيبة، القاهرة، ص١٤، بتصرف يسير

(٤) المدخل إلى علم الدعوة: د. محمد بن عبد الله أبو الفتح، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٢٢هـ، ص١٧

بشرف النسب النبوي، فهم من سلالة الحسن بن علي-رضي الله عنهما، كان الشيخ القاسمي جميل الشكل، أبيض اللون، نحيف الجسم، أسود اللحية[٢]، وكان فصيحا بليغا، حسن الأداء والصوت عند تلاوة القرآن الكريم[٣].

عرف برقته ولينه وبشاشته، وكان مربيا لطيف حليما، طلق الوجه، لين الجانب، مهيب الطلعة، حسن الهندام، يحسن للجار، ويرحم الفقير، ويغيث الملهوف، ويكرم الضيف، كما عرف بالورع الحميد، وقد عاش فقيرا ومات فقيرا، ولم يتمكن لفقره من أداء فريضة الحج ، وكان مبالغا في الأمانة والتحري، كما كان كثير الوفاء والتواضع بحق من أسدى إليه معروفا، وكان عفَّ اللسان والقلم، وقد جاء أسلوب دعوته وتأليفه الكتب منسجما مع هذه الأخلاق الكريمة[٤].

وقد نشأ الشيخ القاسمي في بيت عرف بالعلم فجده فقيه الشام وعالمها، ووالده كان كذلك وفضلاً عن اشتغاله بالأدب، وقد ظهرت عليه أمارات النجابة والفطنة مبكرا، مما دعا والده للاهتمام به، وكان يكتب له نثرا وشعرا ودعاء؛ ليحثه على العلم ويحببه فيه، فلما بلغ سنَّ التمييز أرسل والده إلى كتَّاب ليتعلم القرآن الكريم، فلما أتمَّ حفظه انتقل إلى تعلم القراءة والكتابة والخط حتى أتقن الخطين الرقعة والفارسي، ثم انتقل إلى المدرسة الظاهرية، وانتظم في صفوفها، فتعلم التوحيد والنحو والصرف والعروض والبيان والمنطق وغيرها، ثم جود القرآن عند شيخ قراء الشام، ثم انتظم في دروس والده في جامع السنانية للقراءة في المختصرات الفقهية والحديثية والنحوية، كما انتظم أيضا في مجالس الجامع الأموي لقراءة البخاري والموطأ وغيرها من كتب الحديث النبوي، كما درس الفقه والتفسير والحديث والأصول والعقيدة والبلاغة والنحو والصرف على ثلة من كبار علماء الشام في زمانه، وقد نال الإجازات العامة منهم، ومن عدد من العلماء والمشايخ في دمشق وخارجها، وقد كان تعلمه على

---

(١) ينظر: جمال الدين القاسمي سيرته الذاتية بقلمه، جمع: محمد ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ، ص٣٩.

(٢) ينظر: مجلة المنار: مجلد ١٧ ص٦٣٤، مقال بعنوان: مصاب مصر والشام برجال العلم وحملة الأقلام، لمحمد رشيد رضا.

(٣) تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري: محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ، ٢٠٠/١.

(٤) ينظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي، المطبعة الهاشمية، دمشق، ط١، ١٣٨٥هـ، ص١٨١-١٨٨.

متون الفقه الشافعي، ثم غلب عليه اخر حياته الاجتهاد والنظر في الأدلة، فكان يبني أقواله على ما يترجح له منها(١).

وكان الشيخ القاسمي كثير الكتابة والتأليف، وكان يكتب ويؤلف ويجمع الفوائد في كل زمان وفي مكان، وكثير من مؤلفاته ما زال مخطوطا في مكتبة أسرته، ومن كتبه المطبوعة: إصلاح المساجد من البدع والعوائد، تاريخ الجهمية والمعتزلة، جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، حياة البخاري، دلائل التوحيد، شذرة من السيرة المحمدية، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، محاسن التأويل، موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، ميزان الجرح والتعديل، وغيرها(٢).

وفي آخر حياة الشيخ القاسمي أصيب بالحمى "التيفية" فجأة، وثقلت عليه بسرعة، فتوفي يوم السبت ٢٣ من جمادى الأول سنة ١٣٣٢هـ، وعمره ٤٩ عاما، ودفن في مقبرة الباب الصغير بدمشق (٣).

---

(١) ينظر: الشيخ جمال الدين القاسمي واختياراته الفقهية: سامي الفريضي، دار كنوز أشبيليا، الرياض، ط١، ١٤٣١هـ، ص١٤٩ وما بعدها.

(٢) للاطلاع على مجموع كتب القاسمي ينظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص٦٣٥ وما بعدها، العلامة جمال الدين القاسمي: محمد رياض المالح، مركز جمعة الماجد، دبي، ط١، ١٤١٤هـ، ص٩ وما بعدها.

(٣) الشيخ القاسمي له أثر عظيم في حركة العلوم الشرعية في دمشق في زمانه، وقد كتب سيرة حياته بنفسه، كما كتبها غيره، انظر للمزيد في ترجمته: جمال الدين القاسمي سيرته الذاتية بقلمه، جمع: محمد ناصر العجمي، جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي، جمال الدين القاسمي: د. نزار أباظة، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٨هـ.

المبحث الثاني: الأصول الدعوية عند الشيخ جمال الدين القاسمي

توطئة: عاش الشيخ القاسمي في مدة عصيبة من تاريخ الأمة الإسلامية، وقد فرضت عليه تلك المدة العصيبة جهودا معيَّنة، اتخذها وفق منهج محدد سار عليه في حياته، وهذا المنهج وتلك الجهود هي التي رسمت بمجملها الصورة الشخصية لحياة الشيخ القاسمي الدعوية، ولقد مرت حياته الدعوية بمحن ومصاعب متعددة، جعلت هذا المنهج الذي تبناه في حياته يتضح أكثر فأكثر، وقد كانت له عدد من الأصول الدعوية، وقبل سرد هذه الأصول يحسن تعريفها لغة واصطلاحا ليعلم المراد منها.

تعريف مصطلح "أصول".

التعريف في اللغة: كلمة "أصول" جمع، ومفردها في اللغة: أصل، وتطلق على عدة معان، منها: **الأساس أو القواعد أو ما يبنى عليه الشيء أو ما يقوم عليه.**

قال في لسان العرب: " أصل، الأصل: **أسفل كل شيء**، وجمعه أصول"(١)، وقال في المعجم الوسيط: "أصل الشيء: **أساسه الذي يقوم عليه**، ومنشؤه الذي ينبت منه، وأصول العلوم: **قواعدها** التي تبني عليها الأحكام"(٢).

خلاصة البحث اللغوي: بالنظر إلى المعني اللغوي واستحضاره، فإن أقرب تعريف لمصطلح "أصول" هو: **القاعدة والأساس الذي يبنى عليه غيره.**

مما سبق عرضه من تعريفات لغوية واصطلاحية علمية يمكن تعريف مصطلح **أصول الدعوة** في الاصطلاح الدعوي بأنه: "**أدلة الدعوة ومصادرها وأركانها**"(٣)، أو: **الأسس والقواعد التي تقوم عليها الدعوة للوصول إلى نتائجها.**

الأصل الأول: الاعتماد على نصوص الكتاب والسنة الصحيحة

كان الشيخ القاسمي ملتزما بنصوص القرآن الكريم والسُّنة النبوية الصحيحة في علمه ودعوته، وقد ظهر أثرهما في حياته العلمية والدعوية بوضوح، وكان يتبع الدليل الذي يقوده إليه الاجتهاد، فسهَّل ذلك الاستنباط

(١) لسان العرب: لابن منظور، ج٨٩/١، مادة "أصل".

(٢) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية ج٢٠/١، مادة "أصل".

(٣) المدخل إلى علم الدعوة: د. محمد بن عبد الله أبو الفتح، ص٤٦.

لديه، ويسر له ردّ كثير من الأقوال الضعيفة أو المرجوحة، وقد أكسبه ذلك ثباتاً وتوافقا كبيرا بين جهوده الدعوية ومنهجه فيها، بإذ لا تجد بينهما أي معارضة أبدا؛ لأنه يعتمد على النص القرآني أو النص النبوي الصحيح(١).

وقد كان الاستدلال بالقرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة حاضرا في جميع دروسه ومحاضراته وخطبه ومؤلفاته، وكان يثني على العالم الذي يشغل أوقاته وأوقات طلابه في الدروس المتعلقة التفسير والحديث لأنهما متعلقان بالكتاب والسنة، وكان يعظم أوامر القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، ويرى وجوب تقديم نصوصهما على قول أي أحد ولو كانت مخالفة لأقوال الفقهاء، أو كانت مخالفة لأقوال أحد مشايخه، لأن العبرة لديه بما ورد في النصوص الشرعية لا في غيرها، وكان إذا أراد صرف الناس عن عقيدة فاسدة أو بدعة فاشية فإنه يعتمد على نصوص القرآن والسنة مبينا للناس ضرورة الرجوع اليهما وترك أقوال أرباب البدع والضلالات(٢).

وقد أثنى الشيخ محمود مهدي الاستانبولي على منهج الشيخ القاسمي في الاعتماد على الكتاب والسنة النبوية الصحيحة إذ قال: "كان يدعو إلى مذهب السلف، والرجوع إلى الكتاب والسنة الصحيحة؛ للعودة بالإسلام إلى أصله الأول، ونفي ما دخل عليه من بدع وخرافات كانت سببا في بعد المسلمين عن دينهم، مما أدى الى تشويه الإسلام وضعف المسلمين واستيلاء الأعداء عليهم. فكان الجمال القاسمي يدعو العلماء إلى عدم قبول آراء الفقهاء المتقدمين عن تقليد، بل بعد إقامة الدليل عليها وإلا كانوا آلات تدار بدون حرية"(٣)، ويقول أيضا: "خلاصة مبادئ الدعوة السلفية التي كان يدعو إليها الأستاذ القاسمي وغيره ممن السلف قديما وحديثا: الرجوع إلى الكتاب والسنة الصحيحة، وفهمها على المنهج الذي كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم"(٤)، ويقول أيضا: "الحق أن السلفيين دعاة الإصلاح الديني وفي مقدمتهم الشيخ محمد جمال الدين القاسمي لا يدعون إلى مذهب خامس، بل يدعون العالم الإسلامي قاطبة للرجوع إلى النبعين الفياضين للإسلام، وهما: كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وبذلك يلتقي المسلمون على مذهب واحد"(٥).

---

(١) الأمثلة على ذلك كثيرة جدا، انظر مثلا تفسيره محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، ٣٣٩/٨، ٣٢٣/٦.

(٢) ينظر: إصلاح المساجد من البدع والعوائد: جمال الدين القاسمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٣٩٩هـ، ص٧، ٨.

(٣) شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الاستانبولي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ، ص٢٧.

(٤) المرجع السابق، ص٣٢.

(٥) المرجع السابق، ص٣٥.

- **المنهج الدعوي للشيخ جمال الدين القاسمي رحمه الله**

وكان يرى الاعتماد على القرآن الكريم في التأصيل الدعوي، وبيان أهمية الدعوة إلى الله تعالى، ووجوب قيام المستطيعين لها بشؤون إقامتها على بصيرة من القرآن والسنة، مستدلا في ذلك بقول الله تعالى: **{ومن أَحْسَنُ قَوْلًا ممَّنْ دعَا إِلَى اللَّه وعَمِلَ صالحًا وقَالَ إِنَّني منَ الْمُسْلمينَ}** [فُصِّلَت: ٣٣]، ، وقوله تعالى: **{قُلْ هذه سَبِيلي أَدْعُو إِلَى اللَّه ۚ علَىٰ بَصيرةٍ أَنَا ومَنِ اتَّبَعَني ۖ وسُبْحَانَ اللَّه وما أَنَا منَ الْمُشْرِكِينَ}** [يوسف: ١٠٨][(١)]، وكذلك يرى الاعتماد على القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة في بيان مسائل الدين، وبيان فضل المشتغل بهما، وبيان شرف مبلغهما وحاملهما للناس، ، مستدلا في ذلك بقوله ﷺ: **«نضَّر الله امرأً سمع مقالتي فبلغَّها؛ فربَّ حامل فقه غير فقيه، وربَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه»**[(٢)]، وكذلك يرى الاعتماد على القرآن الكريم في بيان فضل الإسلام، وبيان منزلته، وأحقيته في الاتباع، وأهمية إقناع الناس بالحجة والبرهان على أفضليته ومنزلته، مستدلا في ذلك بقول الله تعالى: **{وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا}** [النساء:١٢٥][(٣)].

ومن منهجه أيضا الاعتماد على القرآن الكريم في الطريقة التي يجب على الدعاة إلى الله تعالى الالتزام بها، وأنها يجب ألا تخرج عن نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، مع الأخذ بأساليب الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، مستدلا في ذلك بقول الله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ١٢٥﴾ [النحل: ١٢٥] [(٤)].

---

(١) ينظر: محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي ٣٥١/٣.

(٢) رواه ابن ماجه في سننه برقم٢٣١، باب من بلغ علما، مكتبة المعارف، الرياض، ط٢، ١٤١٧هـ، ج٨٦/١، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ، ج٤٥/١.

(٣) ينظر: محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي ٢٣٣/٦.

(٤) ينظر: محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي ٤٢٣/٦.

وكذلك الاعتماد على القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة في وعظ عامة الناس وإرشادهم، وكذلك في الدروس والخطب والمحاضرات والكتابة والتأليف، ولأجل هذا المنهج ألف عدداً من الكتب، منها: "موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين"، و"الوعظ المطلوب من قوت القلوب"، و"مجموعة خطب" وغيرها.

وكان يرى الاعتماد على القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة في بيان وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي بيان العقوبة المترتبة على تركه، وفي بيان الفقه في انكار المنكر، وتربية طلاب العلم على هذا المنهج، مستدلا في ذلك بقول الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران:١٠٤]، وقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠]، وقوله ﷺ: «**من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»(١)، وقوله ﷺ: «**ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون، وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**»(٢)(٣).

وكان يرى الاعتماد على القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة في تأصيل مسائل الاعتقاد، لأنهما جمعا أصول الاعتقاد في الدين، وأن القرآن الكريم تضمن كليات الدين، لأنه تم بتمام نزوله، وأن السنة النبوية هي

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم٧٨، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ج٦٩/١.

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم٨٠، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، ج٦٩/١.

(٣) ينظر: محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي ٣٧٥/٢.

المصدر بعد القرآن الكريم، لكن يجب الحذر من الضعيف منها والموضوع، لأنه كثير، وكذلك يرى الاعتماد على القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة في الحث على الأخلاق الفاضلة في جميع جوانب الحياة، مستدلا في ذلك بقول الله تعالى: **{وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا}** [البقرة:٨٣]، وبأخلاق نبينا ﷺ، وأنه بعث متمما صالح الأخلاق، وتربية طلاب العلم على هذا المنهج، وتعليمه لعامة الناس(١).

وكان يرى الاعتماد على القرآن الكريم في تأصيل التعامل الحسن مع المخالفين، وبيان ثمرة الرفق بهم، وبيان آداب المناظرة والجدل، وتربية طلاب العلم على هذا المنهج، وتعليمه لعامة الناس، مستدلا في ذلك بقول الله تعالى: **{وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ}** [العنكبوت:٤٦](٢).

الأصل الثاني: التمسك بمنهج السلف الصالح في جميع مسائل الدين

كان الشيخ القاسمي معظماً لطريق السلف الصالح شديد التمسك بمنهجهم، حريصا على أن لا يحيد عنهم، محباً لحملة منهجهم وناقلي طريقتهم، وكان على الرغم مما تعرض له من محن بسبب تمسكه بهذا الطريق يزداد ثباتا وإصرار عليه(٣)، لذا فقد كان يبحث عن أقوال السلف في مسائل العقيدة ويتبناها، ويجمع أقوال السلف في الفقه ويرجح بينها، ويختار لرأيه ما كان قريبا من الدليل الصحيح الصريح، وكان يصرح دائما بحبه لهم، وتقديمه أقوالهم على أقوال غيرهم، والقارئ في تفسيره مثلا يرى منهج السلف ظاهراً، فهو يكثر النقل عن علماء السلف، ويورد حججهم وأدلتهم، وردودهم على شبه خصومهم(٤).

ولقد غلب وصف القاسمي بالسلفي عقيدة ومنهجاً، على لسان معاصريه وطلابه وحتى أعداءه ومخالفيه، مع أنه نشأ نشأة صوفية بحتة، إلا أنه قد طُبع على الميل نحو التعليل والتدليل والبحث عن الأسباب، فانطلق للبحث عن المصادر والأصول التي لم يعهد دراستها في مجالس العلم في زمانه، مستعينا بخبرة وإطلاع صديقه الشيخ طاهر الجزائري على الكتب والمخطوطات، حتى وصل إلى ما كتبه علماء السلف في أصول الفقه

---

(١) ينظر: جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب: جمال الدين القاسمي، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤١٧هـ، ص٨٧.

(٢) ينظر: الجرح والتعديل: جمال الدين القاسمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ، ص ٣٠

(٣) اتهم القاسمي بعدة تهم منها: الوهابية، والإحداث في الدين بمذهب جديد اسمه المذهب الجمالي، وتأليفه كتاب دلائل التوحيد وكتاب مجموع الأصول، وغيرها من التهم التي خرج منها بريئا، ينظر: ينظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص٤٨ – ٦٩.

(٤) ينظر: المرجع السابق ص١٨.

والحديث والتفسير وغيرها من العلوم مما لم ير شيئا منه في المتون والحواشي التي درسها، حتى أولع بمؤلفات ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والشاطبي وغيرهم(١)، وأصبح أثر تلك الكتب واضحا في نفسه ومنهجه، بل أنه تغير أسلوب حياته وتفكيره وحتى أصدقاءه وأهل بيته، ولذلك لم يرتض الكتب التي ألفها قبل الوصول إلى الحقيقة التامة في منهج السلفية، وأخذ في مصاحبة من يتفق معه في هذا المنهج السلفي داخل الشام كالشيخ عبد الرزاق البيطار، وخارجها كالآلوسي من العراق، ومحمد نصيف من الحجاز، ومحمد رشيد رضا من مصر وغيرهم، وكان يخبر عن والده أنه صار في آخر حياته سلفيا بعد أن كان صوفيا، وكذلك إخوته الذين تتلمذوا على يديه وكذلك بقية أهل بيته، ولم يخفِ القاسمي تأثره بابن تيمية ومنهجه، بل صرَّح بذلك مرارا، وكان حريصا على نشر كتبه ورسائله وفتاويه(٢)، وهو مع حبه له وميله إلى أقواله لم يهرب من التقليد المذهبي ليقع تقليد ابن تيمية، "فإنه مع حبه له لم يبلغ به حد التقديس والإقرار له بالعصمة، وقد كان يقول لتلميذه حينما يلفت نظره لمخالفته آراء ابن تيمية المعجب به: "ومن قال لك إنني مقلّد لابن تيمية وهو يكره التقليد؟، وإنما أدافع وأناضل عن شيخ الإسلام، وأنشر رسائله وكتبه وفتاويه، لأنه مجتهد وغير مقلد، وأقواله أقرب إلى الصواب من غيره؛ لأنه جاء متأخراً عن الأئمة، وزاد اطلاعُه على اطلاعهم، وناقشَهم جميعاً"(٣). ولقد كان موقف أعدائه من أهل البدعة والجمود، شديدا عليه وقويا في الاتهام والهجوم، فقد تفنَّنوا في إلصاق التهم به، كتهمة الدعوة إلى الاجتهاد، وتهمة تأسيس مذهب جديد، وتهمة أنه من السلفية والوهابية، وغيرها من التهم التي تدور حول منهجه السلفي، ولقد كان موقفه منها جميعا صلبا وواضحا.

وقد أثنى على الشيخ القاسمي جمع من العلماء من أصدقاء وطلابه ومعاصريه وممن جاء بعده، وامتدحوه بسيره على المنهج السلفي، ومن ذلك: ما قاله الشيخ محمد رشيد رضا: "أنه كان يتحرى مذهب السلف في الدين وينصره في دروسه ومصنفاته، وما مذهب السلف إلا العمل بالكتاب والسنة بلا زيادة ولا نقصان، على الوجه

---

(١) ينظر: المرجع السابق ص٥٩٦.

(٢) أشار د. نزار أباظة إلى أن الشيخ القاسمي قد أخرج مجموعة كتب لا بأس بها من كتب التراث العربي والإسلامي، إلا أنه لم يكن يضع اسمه على ما يخرجه أو يحققه ويصححه، لأن ذلك لم يكن معروفا في زمانه، ولم تكن العادة كتابة اسم المصحح أو المحقق على الكتاب، بل يكتفي باسم مؤلفه فقط. ينظر: جمال الدين القاسمي: د. نزار أباظة ص٢٤٩.

(٣) شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الاستانبولي ص٥٠.

الذي كانوا يفهمونه في الصدر الأول، وقد اتهم -كما اتهم غيره من المستقلين- بأنه أحدث مذهبا جديدا في الإسلام، ..."[١].

ويقول الشيخ محمود مهدي الاستانبولي: "وهذه الدعوة السلفية التي عمل بها كانت شاقة جدا، لها معارضون متعصبون كثيرا، وأنصارها كانوا قليلين، وخاصة في بلاد الشام بعد توقف حركة الإصلاح العظيم الذي بدأها شيخ الإسلام ابن تيمية، غير أن جميع هذه الصعاب والمخاطر لم تثنه عن عزمه، ما دام يحمل قلبا ثائرا ورسالة فكرية، وهما إذا اجتمعا في رجل جعلا منه شخصية تاريخية خالدة، لذلك كان عمل هذا المصلح عظيما وجريئا وخطيرا على حد سواء بسبب ما للتقاليد من أثر في محاربة أهلها من المصلحين، فتمالأ عليه طائفة من المتفقهة ولمزة الحق فاتهموه فيمن اتهموهم بالإحداث في الدين"[٢]، ويقول أيضا: "هذه حال العصر الذي جاء فيه القاسمي، فأخذ يدعو إلى مدرسته الفكرية السلفية، بثلاثة أمور: دروسه ومؤلفاته وحسن أسوته. وكان يعاونه في دعوته الأساتذة: الشيخ طاهر الجزائري، والشيخ عبد الرزاق البيطار، والشيخ سليم البخاري، ويمكن القول أن السلفية اليوم في بلاد الشام مدينة للقاسمي إلى حد ما، فهو الذي أحيا بذرتها بعدما كادت تموت بعد ابن تيمية وابن القيم... ولم يفارق القاسمي حياته التي كانت قصيرة وعريضة إلا وترك السلفية في طريق الازدهار والنمو، يحملها بعض تلاميذ له سعوا لنشر دعوة أستاذهم"[٣].

ويقول تلميذه الشيخ محمد بهجة البيطار: "وكانت صلة ابن بدران بالقاسمي حسنة، وكان للشيخين أمل كبير وسعي عظيم في تجديد النهضة الدينية العلمية في ديار الشام، فقد أشبها -رحمهما الله- أئمة السلف؛ تعليماً للخواص، وإرشاداً للعوام، وتأليفاً للكتب النافعة، وزهداً في حطام الدنيا الزائلة"[٤].

ويقول صديقه الشيخ محمد كرد علي: "وهو ولا مراء عالم الكتاب والسنة بلا مدافع، خلق ليعمل على بث الدين المبين خاليا من حشو المتأخرين الجامدين، وتضليل المخرفين والمعطلين، ويهيب بالناس إلى الأخذ بمذاهب السلف، ويتلطف في إبلاغها العقول المظلمة في دروسه وتآليفه"[١].

---

(١) مجلة المنار: مجلد ١٧ ص٦١٥، مقال بعنوان: مصاب مصر والشام برجال العلم وحملة الأقلام، لمحمد رشيد رضا.

(٢) شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الاستانبولي ص٢٧.

(٣) المرجع السابق ص٤٤.

(٤) مقدمة كتاب: منادمة الأطلال ومسامرة الخيال: لابن بدران، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ، كتب المقدمة الشيخ محمد بهجة البيطار.

- **المنهج الدعوي للشيخ جمال الدين القاسمي رحمه الله**

ويقول الدكتور محمد إبراهيم الحمد: "إن الذي نقل –يقصد القاسمي– هذه الفتوى –يقصد فتوى لشيخ الإسلام ابن تيمية– من أعظم الناس اطلاعاً في هذا العصر على كتابات الشيخ وتلميذه ابن القيم، وكان يعيش في بلاد الشام بلاد الشيخين، ومؤلفات القاسمي وخاصة تفسيره طافحة بالنقولات الكثيرة عنهما. ثم إنه أحد القلة في عصره الذين نهضوا بالمنهج السلفي ومناصرته، وأوذي في ذلك أذى كثيراً، ..."(٢).

وكان يرى التمسك بمنهج السلف الصالح في بيان البدع والمنكرات التي تحدث في المساجد في عصر القاسمي، وأنها محدثة، وذلك مما ورد في كتابه "إصلاح المساجد من البدع والعوائد"، وكذلك التمسك بمنهج السلف الصالح في طريقة الاستدلال بالكتاب والسنة وعدم الخروج عنها، وتقديم أقوال كبار علماء السلف الصالح، كأقوال شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهما على غيرهم من أهل البدع والأهواء.

وكان يرى التمسك بمنهج السلف الصالح في بيان الأخلاق الحسنة، وأثرها في الدعوة والتعليم، وذلك مما ورد في كتابه "جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب"، وكتابه "آداب المعلم والمتعلم والمفتي والمستفتي"، وكذلك التمسك بمنهج السلف الصالح في بيان الطريقة الشرعية في إلقاء خطب الجمعة، والخرج بها من الأسلوب التقليدي الموروث الذي لا يجيده الخطباء في عصر القاسمي ولا يتقنوه، والعودة بهم إلى طريقة السلف النافعة في الخطابة.

وكان يرى التمسك بمنهج السلف الصالح في الاهتمام بالحديث النبوي، وبيان حث السلف على الحديث رواية ودراية، وبيان عدم جواز الاستشهاد بالأحاديث الضعيفة، وبيان عدم جواز معارضة الأحاديث الصحيحة الصريحة بأقوال الفقهاء، وقد أورد أمثلة لذلك في كتابه "قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث"، وكتابه "الفضل المبين على عقد الجوهر الثمين"، وغيرهما.

وكان يرى التمسك بمنهج السلف الصالح في الاهتمام بالفقه الإسلامي وأصوله، وبيان حاجة الفقه إلى تجديد وإعادة نظر في جميع المذاهب، وضرورة إعادته إلى طريقة السلف في التعامل مع الأقوال، وفي بيان بعض المسائل المتعلقة بالتعصب المذهبي، والمسائل المتعلقة بمقاصد الشريعة، والمسائل المتعلقة بتعليل الأحكام، والمسائل المتعلقة بشروط الإفتاء المنصوص عليها، والمسائل المتعلقة بإصلاح القضاء الشرعي، وبيان

---

(١) مجلة المقتبس: العدد ٨٥ ص٥٠، مقال بعنوان: السيد جمال الدين القاسمي، لمحمد كرد علي.

(٢) رسائل في العقيدة: د. محمد إبراهيم الحمد، بحث غير مطبوع وهو منشور في الموقع الرسمي لـ د. محمد بن إبراهيم الحمد على الشبكة العنكبوتية العالمية ص٢٦١.

أهمية الاجتهاد الجماعي في المسائل الفقهية، وأهمية الاعتماد على المصادر الأصلية في الفقه الإسلامي، وقد أورد أمثلة لذلك في كتابه "الفتوى في الإسلام".

الأصل الثالث: الالتزام بالعقيدة الإسلامية الصحيحة

كان الشيخ القاسمي ذا عقيدة إسلامية صحيحة في جميع المسائل المرتبطة بالعقيدة، مستدلا بنصوص الكتاب والسنة النبوية الصحيحة، مستشهدا بأقوال السلف الصالح –رحمهم الله–، معتمدا على لغة العرب في بيان المراد من المصطلحات العقدية، ولقد تأثر الشيخ القاسمي في طريقة دعوته إلى العقيدة الإسلامية الصحيحة بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقد كانت تتركز على دعوة الناس إلى صفاء التوحيد، ونبذ الشرك والخرافات، وهذا عين ما جاء به الأنبياء والمرسلون، وأنها حرصت على نشر الإسلام بشكله الصحيح، والعودة بالمسلمين إلى الكتاب والسنة، وما كان عليه السلف الصالح، ولقد انتشرت هذه الدعوة في مناطق متعددة من العالم العربي والإسلامي حتى وصلت إلى بلاد الشام، ولقد تسامع الناس بها في الأقطار الإسلامية كافة، حتى ألقي صداها في نفس القاسمي فتأثر بها، لكنه لم يظهر الدعوة بها صراحة؛ لأنه تعرض لمضايقات كثيرة بسببها، فقد اتهم بـ"الوهابية" وحقق معه، إلا أنه خرج سليما بريئا.

والشيخ القاسمي وإن لم يكن يظهر التأثر بهذه الدعوة بسبب خصومه وأعداءه، إلا أن أثر ذلك كان باديا في دعوته، ومما يدل على ذلك دفاعه عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، إذ قال له تلميذ له ذات مرة: إن مما يدل على بطلان دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفي أنني اطلعت على كتاب يرد عليه فيه أخوه سليمان، والأخ أعلم الناس بحقيقة أخيه، فرد الشيخ القاسمي على تلميذه برد فيه شيء من الذكاء والدفاع عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب إذ قال: ليس هذا دليل لك، فأنت تعلم أن أقرب الناس إلى فلان –وسماه– إلا أنه نصب لسلفيتنا العداء لسانا وقلما، وحق لك أن تذكر بهذه المناسبة عداوة أبي لهب للرسول ﷺ(١).

ومما يدل عليه أيضا ما ذكره الشيخ محمود مهدي الاستانبولي: "وكان يدعو إلى التوحيد الصحيح الذي كان يدعو إليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقد ناظر كبار العلماء في التوحيد وأوضح لهم ما داخله من الشرك الذي هو أعظم من شرك المشركين، فقد كان الكفار يدعون الله وحده في الشدائد، بعكس المبتدعين في زماننا فإنهم ينسون الله عند الشدائد ويدعون غيره،"(٢).

---

(١) ينظر: شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الاستانبولي ص٣٩، ٤٠.

(٢) المرجع السابق ص٢٨، ٢٩.

ومما يدل عليه أيضا ما ذكره الباحث محمد كمال جمعة: "انتهت المشيخة العليا في بلاد الشام في أوائل هذا القرن إلى الشيوخ الأجلاء: الشيخ جمال الدين القاسمي، والشيخ عبد الرزاق البيطار، والشيخ طاهر الجزائري، والشيخ محمد كامل قصاب، فدرسوا دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأعجبوا بها، وقدروها حق قدرها، ورأوا أنها على حق وصواب، فنشروها في المجتمع الشامي، وبذروا بذورها، فأثمرت أطيب الثمار وانتهت إلى أبرك النتائج"(١).

وكان يرى الالتزام بالعقيدة الإسلامية الصحيحة في عرض الدعوة إلى الله تعالى، وبيان منهج دعوات الرسل عليهم الصلاة والسلام المرتبط بتصحيح العقائد أولا، وبيان تفسير آيات الدعوة الواردة في القرآن الكريم، وذلك مما ورد في تفسيره "محاسن التأويل"، وكذلك الالتزام بالعقيدة الإسلامية الصحيحة في الاستدلال لها من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة وأقوال علماء السلف الصالح، ونبذ أقوال غيرهم من أهل البدع والأهواء.

وكان يرى الالتزام بالعقيدة الإسلامية الصحيحة في مسائل الاعتقاد، مثل المسائل المتعلقة بعلم التوحيد وأنواعه، خاصة المسائل المتعلقة بتوحيد الأسماء والصفات، والمسائل المتعلقة بالفرق الإسلامية والرد عليها، كالمعتزلة القدرية والجبرية، والمسائل المتعلقة بالتكفير، والمسائل المتعلقة بالصحابة رضي الله عنهم، وذلك مما ورد في كتبه في العقيدة ككتابه "دلائل التوحيد"، و"نقد النصائح الكافية"، و"تاريخ الجهمية والمعتزلة"، وغيرها، وكذلك الالتزام بالعقيدة الإسلامية الصحيحة في مسائل المتعلقة بالابتداع في الدين، مثل والمسائل المتعلقة بالترهيب من الابتداع، و والمسائل المتعلقة بتقسيم الابتداع في الدين إلى قسمين، والمسائل المتعلقة بالرد بوضوح على البدع والمبتدعة وذكرهم بأسمائهم، والمسائل المتعلقة بالنهي عن الاختلاط بأهل البدع، وذلك مما ورد في كتابه "إصلاح المساجد من البدع والعوائد"، وكذلك الالتزام بالعقيدة الإسلامية الصحيحة في تربية طلاب العلم، خاصة فيما يتعلق بمخالطة أهل البدع وأسلوب الرد عليهم، وتحذير الناس منهم(٢).

الأصل الرابع: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

كان الشيخ القاسمي ملتزما في منهجه في الدعوة إلى الله تعالى بأصل عظيم من أصولها وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان إماماً وخطيباً في دمشق، وكان يلقي عدة دروس في اليوم الواحد للعامة

(١) انتشار دعوة الشيخ محمد عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية: محمد كمال جمعة، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ط٢، ١٤٠١هـ ص١٢٩ وما بعدها.

(٢) انظر للاستزادة حول منهج القاسمي العقدي في كتابه: إصلاح المساجد من البدع والعوائد، ص١٠ وما بعدها.

والخاصة، ويرى أن من الواجب عليه في الدعوة والإصلاح القيام بالنصح والتذكير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وذلك لمواجهة البدع والخرافات، والانحرافات والضلالات، وتطبيقا لما أخذ الله به العهد على العلماء والدعاة من الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لذا فقد كان حريصا على القيام بهذه الشعيرة الدينية، ولا تأخذه في إقامتها في الله لومة لائم، وذلك في زمن ضعف فيه المتمسكون بالدين، وقل فيه القائمون بهذه الشعيرة، ويرى أن وجوبها ثابت بالكتاب والسنة، وهو من أعظم واجبات الشريعة المطهرة، وأصل عظيم من أصول الدعوة، وذلك في ضوء قول الله تعالى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران:١٠٤][(١)].

وكان لا يحابي في ذلك أحدا أبدا، لا شيخا ولا صديقا ولا تلميذا، وكان ينصح أهله وطلابه بأن يكونوا أولى الناس بإتباع ما يأمر الناس به أو ينهاهم عنه، وقد ذكر في مفكراته في طريق رحلته إلى بيت المقدس أنه زار شيخا من الشراكسة في عمان ونزل ضيفا عليه، فرآه وقومه عندما يصلون يرتدون الأسلحة، فلم يمنعه ضيافتهم له من الانكار عليهم، ومناقشة شيخهم في كراهية هذا الأمر[(٢)].

وهو مع حرصه على القيام بهذا الأصل إلا أنه كان ضرورة التعامل معه بفقه وعقل، لذا فقد كان ينبه من يقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، على الشروط الواجب على الآمر أو الناهي إتباعها، وأن أهم شرط في القيام به هو أن يكون المنكر من المجمع على تحريمه بين العلماء جميعاً، لا من المتشابه والمختلف فيه، وقد كان هذا واضحا من سمات منهجه في الدعوة إلى الله تعالى[(٣)].

---

(١) ينظر: محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي ٣٧٥/٢.

(٢) ينظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص١٠٦.

(٣) ينظر: موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين: جمال الدين القاسمي، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ ص١٦٠.

وكان يرى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في جميع الأحوال والأوقات والأشخاص، وتقديم رضا الله تعالى على رضا المخلوقين، بفقه وخلق، وذلك مما ورد في سيرة القاسمي وشمائله، وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مواجهة البدع والخرافات المحدثة، والتصدي لها بالقوة والدليل، وذلك مما ورد في كتابه "إصلاح المساجد من البدع والعوائد".

وكان يرى ثبوت وجوب بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، موافقا لقول الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠]، وقول رسول الله ﷺ: «**من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»(١)، وغيرها من الآيات والأحاديث المشابهة لها، وذلك مما ورد في تفسيره "محاسن التأويل"، أو في كتابه "إصلاح المساجد من البدع والعوائد"، وكذلك القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع بيان فقه انكار المنكر، ومتى يكون الإنكار، ومتى يكون السكوت، وأن كل ذلك مرتبط بالمصلحة، وقد أورد أمثلة لذلك في كتابه "إصلاح المساجد من البدع والعوائد".

وكان يرى بيان موقف العلماء من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والغضب لله، وموقف القاعدين عن ذلك الأمر، وذلك مما ورد في كتابه "إصلاح المساجد من البدع والعوائد"، وكذلك بيان الشروط الواجب القيام بها من الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، وقد أورد أمثلة لذلك في كتابه "موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين".

وكان يرى بيان طريقة انكار المنكر، وأنها تكون بالتدرج من اللطف واللين ثم إلى الغلظة والشدة بعد ذلك، وذلك مما ورد في كتابه "إصلاح المساجد من البدع والعوائد"، وكذلك تربية الطلاب على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبيان أنه سبب للنجاة في الدارين.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم٧٨، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، ج٦٩/١.

الأصل الخامس: الاعتماد على الحجة والمنطق والبرهان

كان الشيخ القاسمي قد طُبعت نفسه على الميل نحو التعليل والتدليل والبحث عن الأسباب، وكان هذا أحد الأسباب الذي قادته نحو المنهج السلفي، إذ هو لم يرتضِ الحياة الدينية والعلمية التي كان قد نشأ عليها، فأخذ في البحث حتى اهتدى إلى كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، فوجد فيها خطابا مدعما بالدليل، ومتوازنا مع الحجة والمنطق والبرهان، لذا فقد آثر هذا المنهج في حياته، وظّفه في الجوانب الدعوية، وجعله أصلا له، فقد كان يدعو الناس إلى العقيدة الإسلامية الصحيحة ونبذ رواسب الشرك والبدعة معتمدا على الحجة والبرهان، مع التخلق باللين والطلف.

وكان يعتمد هذا المنهج أيضا مع طائفة المقلدين من الفقهاء الجامدين في عصره، ويدعوهم إلى إعمال العقل والاستدلال بالمنطق، ونبذ رواسب التقليد المفضية إلى التأخر والجمود، وكان يدعو إلى فتح باب الاجتهاد في الدين، وأنه لا يخلو الزمان من قائم لله بالحجة، وكان يرد على الشروط التي وضعها الفقهاء للاجتهاد بالدليل والحجة والبرهان، وكان يجادل خصومه بالأدلة والبراهين، دون التعرض إلى أشخاصهم أو مذاهبهم وانتماءاتهم، وكان يعود طلابه على هذا الأسلوب، بل يسمح لهم بالرد عليه أو تقمص شخصيات مخالفيه لإيراد الشبهات عليه، ثم يحاولوا اقناعه أو يحاول اقناعهم، فإذا لم يقتنعوا قال لهم: لي رأي ولكم رأيكم، ولقد كان منهجه في دروسه قائما على المناقشة ومقارعة الحجة بالحجة، والدليل بالدليل، ويرى أن هذه الطريقة في الدروس مفيدة للطلاب، تثبت المعلومات، وتطرد عنهم الملل والسأم[١].

وكان رأيه في الأدلة بشكل عام أن ما يثبت بالدليل النقلي لا يستدل له إلا به، وكذلك ما يثبت بالدليل العقلي أو بدليل التجربة لا يستدل له إلا به كذلك، ثم بعد الاستدلال يعقب ذلك كله بأقوال السابقين في تلك المسائل، وكل ذلك من أجل أن يجمع بين الدليل والحجة في الاستدلال، ولذلك فقد كان كثير من الجامدين لضعف حججهم يتهربون من البحث والمناظرة معه، ويكتفون بصرف العامة عنه بالتهم الباطلة، كالتهمة بالسلفية والوهابية تارة وبالجهل والاجتهاد تارة أخرى.

ولأجل هذا المنهج المعتدل في الدين فإنه لم يتسرع في الحكم على الفرق أو الأشخاص سواء الحكم بالتكفير أو التفسيق أو إرادة الشر بالأمة ونحو ذلك إلا بعد أن يقوم الدليل والحجة على ذلك، لذا فقد وصفه بعضهم بالتساهل مع المخالفين؛ لأنه كان لا يكتفي بما اشتهر عن بعض المخالفين من السابقين حتى يقوم الدليل على إثبات ذلك.

---

(١) ينظر: محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي، ٣٢٣/٦.

وكان هذا المنهج مطردا معه في الرد على الشبه التي تخالف الدين، فهو يثبت ذلك بالدليل النقلي ويعضده بالبرهان والحجة والمنطق، ومن ذلك: شبهة إنكار وجود الله تعالى، فقد رد على هذه الشبهة في كتابه "دلائل التوحيد" وساق الأدلة لإثبات وجود الله تعالى بالأدلة العقلية والنقلية، وكان إذا أورد هذه الحجج والبراهين لا يهمه بعد ذلك أقتنع المخالف أم لا، وإنما يهمه أن يكون الرد العقلي أو المنطقي سليما، لأن المخالف قد يرد الأدلة عن هوى أو جحود، أما العاقل فإنه يقبل الأدلة التي لا تنكرها العقول السليمة، ولقد جاءه بعض الحاضرين عنده بشبهة أوردها على لسان بعض المعاندين، وذلك فيما يتعلق بقتل النبي ﷺ ليهود بني قريظة الخائنين في غزوة الأحزاب، ولم يعف عنهم ﷺ مع أنه كان متصفا بالعفو وسعة الصدر. فأجاب القاسمي: أن مبلغ خيانة اليهود في هذه الغزوة كان في أحرج الأوقات، ولولا عناية الله تعالى لقضي على الإسلام، فلا يسوغ العقل العفو عنهم، ليكونوا عبرة لكل خائن مثلهم. فرد عليه السائل: أن هذا الجواب لا يقنع الخصم المعاند، فأجابه: لا يهمني إقناعه، وإنما يهمني رد الشبهة بالدليل المسلم به لدى أرباب العقول السليمة، الراغبين في الحق"(١).

لم يكتف الشيخ القاسمي بهذا المنهج في الحياة الدعوية والعلمية فحسب، بل كان يستخدمه في الأمور التربوية، سواء مع طلابه أو أولاده وأهل بيته، ولذلك كان يوصي ويقول: "إياكم أن تأمروا أولادكم بشيء دون أن تذكروا حكمة الطلب وفائدته؛ ليتنبه ابنكم للحكمة، فلا يطيع طاعة عمياء، وقد علمنا الله ﷻ الأخذ بالدليل في كل شيء، حتى في الأخلاق التي تعرف فائدتها بداهة، فقال الله تعالى: **{ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ}** [فصلت:٣٤]، فأعقب عز من قائل الحكمة من الأمر بالدفع بالتي هي أحسن بقوله: فإذا الذي بينك وبينه عداوة"(٢).

وكان يرى الاعتماد على الحجة والبرهان في تبليغ الدعوة إلى الله تعالى وبيان فضل الإسلام، وأن الدين جاء مبينا بالعلة والحكمة من تشريعه، لإقناع المدعوين لدخوله فيه، ولبيان منزلته، وأحقيته في الاتباع، مستدلا على ذلك بقول الله تعالى: **{قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}** [يوسف: ١٠٨]، وقول الله تعالى: **{وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا}** [النساء:١٢٥]، وذلك مما ورد في تفسيره "محاسن التأويل"، وفي كتابه "دلائل التوحيد"، وكذلك الاعتماد على الحجة والبرهان لتأييد مباني أصول الدين، خاصة في المسائل المتعلقة بالعقائد، وفيما يتعلق برد

(١) ينظر: شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الاستانبولي ص٥٩.

(٢) المرجع السابق ص٨٨.

شبه الملحدين، لأنه علم رفيع عظيم، تجب العناية به على العلماء، ودراسته على أذكياء النبهاء؛ لتصير دلائل الأصول ملكة راسخة للعقول، وذلك مما ورد في كتابه "دلائل التوحيد"، وغيرها من كتب العقيدة.

وكان يرى الاعتماد على الحجة والبرهان في الاستدلال للأحكام الفقهية، واستخدام علم أصول الفقه لتحريك ملكة الاستنباط والاجتهاد في النصوص؛ وذلك لإخراج الأمة من الجمود على القديم الموروث غير النافع، والرد على أصحابها، والوصول بها إلى التجديد النافع في الفروع، ومواكبة متطلبات العصر الحديثة، بما لا يخرج عن دلالات النصوص المستقاة من الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح، وكذلك الاعتماد على الحجة والبرهان في الدروس، وذلك بذكر الدليل والعلة والحكمة في جميع الأقوال، وترجيح جانب الاستنباط على الحفظ الصم، وأن الطالب متى أدام الحفظ أضر ذلك بالاستنباط لديه، وتلك كانت طريقته في دروسه[١].

الأصل السادس: نبذ البدع والخرافات والمذاهب المنحرفة والضالة

كان الشيخ القاسمي قد انتشر في زمانه كثيرا من البدع والخرافات المنحرفة والضالة، فقد كانت الصوفية الغالية والحشْوية الجامدة تضرب بأطنابها في أرض الشام وما حولها، فجعل الشيخ القاسمي هدفه مقاومة هذه البدع وهؤلاء المبتدعة، وتحذير الناس من خرافاتهم واختراعاتهم، وكان يرى أن محو الاعتقاد الفاسد من صدور عامة الناس تجاه هذه البدع باب عظيم من أبواب تمحيص الحق، وهو جزء من الدعوة إلى سبيل الله، وقد لاقى في سبيل ذلك عنتاً شديدا، ولقد كان له منهج واضح في التعامل مع المبتدعة، فهو لم يترك جهداً في بيان خطئهم وضلالهم، مع تجنُّبِه الدخول في اتهام أشخاصهم إلا نادرا، وكان يتصف في التعامل معهم بالاعتدال، والتمسك بالدليل في الحوار، وهذا التعامل الحسن لا يكون إلا من طرفه هو فحسب، وقد أورد أمثلة لذلك في كتابه "اصلاح المساجد من البدع والعوائد"[٢].

ومن منهجه في التعامل مع البدع والمبتدعة أنه كان يرفض التسرُّع في إطلاق وصف التبديع على الأفعال والأشخاص، ويمنع تبديع من لم يكن مبتدعاً، ويبين أنه كان للسلطة دور في الاتهام بالبدعة، وأنه كان دور للحظوظ النفسية دور كذلك، ولا يكفي وصف أحد من السلف لآخر بالابتداع، بل يجب إخضاع مسائل البدعة إلى الدليل والعقل الرصين، ولذلك ألف كتابه "ميزان الجرح والتعديل"[٣].

---

(١) ينظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص٢٨٥.

(٢) ينظر: إصلاح المساجد من البدع والعوائد: جمال الدي القاسمي، ص١٠ وما بعدها.

(٣) ينظر: مجلة المنار: مجلد ١٥ ص٨٥٧، مقال بعنوان: ميزان الجرح والتعديل، لجمال الدين القاسمي.

- **المنهج الدعوي للشيخ جمال الدين القاسمي رحمه الله**

وقد قسم القاسمي البدعة إلى حسنة وقبيحة، وكان يرى أن البدعة القبيحة ما لم يأت بها كتاب ولا سنة فقط، وهو بذلك يرجِّح تضييق مفهوم البدعة لينحصر فقط في البدعة المحرَّمة، ونبه إلى أن البدعة الحسنة إنما يطلق عليها بدعة بالمعنى اللغوي لا الشرعي، وبناء على هذا التقسيم كان يسير القاسمي في الرد على البدع المحدثة، فردَّ أغلبها، وأفرد لها التصانيف في مناقشتها وهدمها، ومن ذلك أنه أنكر بدعة وجود إمامين يتعاقبان في مسجد واحد، وأنكر الاجتماع للاحتفال بليلة النصف من شعبان، وأبكر بدعة الاحتفال بكسوة الكعبة في مصر، وفي المقابل استحسن بعض الأعمال وقبلها لأنه لم ير فيها معارضةً للأدلة والنصوص، لكن تحفظ على ما قد يرافقها من مخالفات، ومن ذلك أنه قبل الاجتماع للقراءة على الأموات، وقبل الاجتماع لتدارس السيرة النبوية ليلة المولد النبوي، وقبل زيارة قبور العلماء والصالحين، ولكنه كان يكره التمسح والتبرك بها، وقد فصل ذلك في كتابيه "اصلاح المساجد من البدع والعوائد"، و"شذرة من السيرة النبوية"[١].

كان القاسمي مع هذا المنهج المعتدل في التعامل مع المبتدعة، إلا أن كان يحذر من رؤوس أهل البدع، سواء كانوا من الصوفية الغلاة أو من الحشوية الجامدين، ويذكرهم بأسمائهم، ويعلن لهم العداء صراحة، خاصة من اعتلى منهم منابر الجوامع، وسخرها لنشر البدع والجهل والخرافة، فنصب اهتمامه في بيان سوء مشربهم، وبعدهم عن جادة الصواب، وكان يرثي كثيرا لعامة الناس التي يسمعون خطب الجمع منهم، لما تحويه من الخرافات والأمور المضحكة والسخيفة، مما جعل غير المسلمين من النفور من الدين بسبب ذلك. وأورد بيان ذلك كتابه "إقامة الحجة"، وكتابه "تنبيه الطالب إلى معرفة الفرض والواجب"[٢].

وكان القاسمي بمنهجه هذا منفتحاً على المذاهب كلها، فهو لم يقطع صلاته بشيوخه من الصوفية، ولم يشتد على والده وإخوانه وأهل بيته لإجبارهم على سلوك طريقته السلفية واتباع منهجه فيها، إلا أن كل ذلك التعامل الراقي لم يكن على حساب المعتقد، ولذلك لما سأله أحد تلاميذه على حضور احتفال لبعض أهل البدعة نهاه عن أن يخالطهم لئلا يكثر سوادهم، ولئلا يكون قدوة سيئة لغيره من عامة الناس[٣].

---

(١) ينظر: إصلاح المساجد من البدع والعوائد: جمال الدي القاسمي، ص١٠ وما بعدها

(٢) ينظر: تنبيه الطالب إلى معرفة الفرض والواجب: جمال الدين القاسمي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ، ص٢٤ وما بعدها.

(٣) ينظر: شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الاستانبولي ص٩١.

وقد أثنى على الشيخ القاسمي جمع من أهل العلم في منهجه في نبذ البدع والخرافات، ومن ذلك يقول الشيخ محمود مهدي الاستانبولي: "كان يدعو الأستاذ القاسمي إلى تحذير الناس من الشرك ومن البدع والأفكار الدخيلة والأحاديث المنكرة والموضوعة التي شوهت جمال الإسلام، وحالت دون تقدم المسلمين ونهوضهم"(١)، ويقول الشيخ عبد الله بن مصطفى المراغي :" كان القاسمي في مقدمة علماء دمشق، وامتاز عن كثير منهم، واشتهر أمره، وكان مستقل الرأي، لا يميل إلى الخرافات، محتفظاً بكرامته، لا يحب الفضول والزلفى ، ولم يكتف بالتبحر في العلوم الشرعية بل درس العلوم العصرية"(٢).

الأصل السابع: التمسك بالوسطية والتحلي بالاعتدال

التزم القاسمي بالوسطية في الدين، وتحلى بالاعتدال في المنهج، وقد كان ذلك عن قناعة ورؤية واضحة، وقد ظهرت آثار ذلك في مصنفاته، واتضحت في تفسيره، وكان يرى أن الوسط منزلة الاعتدال، وأتباعه قليل في كل عصر ومصر، وأما الغلو والإفراط أو التفريط فأتباعهم الأكثر، ويتأسف أنه وجد بالاستقراء أن صوت الغلاة هم الأقوى صدى والأعظم استجابة عند الناس.

ونتيجة للتوسط عند القاسمي فقد ظهر عليه الانفتاح على جميع المذاهب والفرق التي تحمل الدليل، ولا تتقيُّد برأي معين، وإنما تأخذ من جوهر الإسلام نفسه، ونتيجة لهذا التوسط أيضا في عرضِ جوانب الإسلام كلها، فقد ظهر عليه عدم التفريط في جانب على حساب آخر، ويشهد لهذا شمول مصنفاته لمعظم العلوم الإسلامية من حديث ومصطلح وتفسير وفقه وأصول وزهد وتصوف وغيرها، وهو ما أثّر في فهمه للإسلام وتطبيقه له، فلم يتشدد في محاربة كل جديد في الدين، ولم يقبل ما ساد من بدع ومخالفات، كما لم تكن صورته الدينية صورة المتشدد في أحكام الدين، ولا صورة المتساهل المفرِط لمستحسنات الدين أو واجباته، بل كان من ذلك وسطاً، يميل للتيسير في فتاواه، وفي سيرته الشخصية.

---

(١) المرجع السابق ص٣٣.

(٢) الفتح المبين في طبقات الأصوليين: عبد الله بن مصطفى المراغي، مطبعة أنصار السنة المحمدية، مصر، ط١، ١٣٦٦هـ، ١٦٨/٣.

وقد ظهرت نتائج وسطيته في خطابه للعامة الذي تعمد فيه ترك مواجهتهم فيما يعتقدون، وفي خطابه مع الحكومة الذي تجنب فيه ما يثير الشقاق والفتنة والمحرَّمة، واستطاع بهدوئه واتزانه أن يطالب بحكمة بما يطمح إليه المصلحون آنذاك من التمسك بالهوية المسلمة واللغة العربية(١).

الأصل الثامن: التجديد في الدين ومجانبة التقليد

يعد القاسمي من دعاة التمسك بمذهب السلف الحقيقي في الدين، ومن دعاة التجديد والاجتهاد أيضاً، ومن يقرأ تاريخ غالب المصلحين المسلمين يتأكد له وقوع الخلل في هذا الباب، فجمدت الدعوات السلفية على ما بين أيديهم من موروث، وقطّع الآخرون الصلة بينهم وبين الأئمة المخلصون، ونسوا أن دعوة السلف كانت إلى الاجتهاد في الدين، وأما التقليد والجمود فهو محدث في القرون المتأخرة، وحصيلة البعد العلمي والتطبيقي عن ذلك منهج السلف.

وقد عمل القاسمي على ربط الأمة بسلفها، ونشر روح التمسك بالسُّنّة بين العامة والترقّي بأفهامهم فوق ضلالات المبتدعة، والاعتماد على أمثال البخاري ومسلم في نشر الإسلام الصحيح، والتمسك بالأصول بين العلماء، ونبذ التقديس والاتباع الأعمى لأي شخص كان.

وكان نتيجة لالتزامه بالاجتهاد منهجاً وتطبيقاً، يحل إشكالات النوازل الجديدة، ويثبت تلبية الدين لمصالح الناس عموماً، وبيان ملائمة الدين لكل زمان ومكان، وأن الاجتهاد وإعمال العقل بالنصوص الثابتة سبب ذلك. وقد اهتم القاسمي بما يصلح حال الأمة في هذا الباب، وقام بتعريف المسلمين بدينهم الحق، وبدعوتهم إلى العمل بتعاليمه وأحكامه وآدابه، وتوجه نحو إحياء التفكير الإسلامي، والمشاركة في تقديم الحلول لمشكلات الحياة الراهنة، وتمسك بدور المسجد وحلقات العلم، ولم يتخلف عنها في مرحلة من حياته، كما اتجه نحو التخفيف والتيسير والأخذ بالرخصة عند تبشير العامة بالدين الحنيف.

ومن أمثلة ذلك التجديد في الدين رؤيته الاجتهادية للنظريات القانونية الحديثة، فلما سئل عن منزلة القانون من الفقه، شبَّهه بالفروع المدونة في كتب الفقه مما يقبل الاجتهاد والاختلاف، وكذلك كان سابقاً لعصره في رؤيته للمرأة وتعامله معها، ودعا إلى تعليم المرأة في زمن كان الناس لا يهتمون بها ولا يولونها عناية، ورأى وجوب تأليف كتب خاصة للنساء لترقيقهن وتفقيههن في العلم والدين، وترحم على زمان كان في المساجد من يعظ النساء ويلقنهن واجبات الدين وأحكامه، وردَّ أن يكون النساء خلقن لسجون البيوت، وأن يكون الحجاب حبساً

(١) ينظر: الجرح والتعديل: جمال الدين القاسمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ، ص٤.

للمرأة مؤبداً. لذا نوى أن يجمع مسنداً للنساء خاصة، لا يذكر فيه إلا ما أخرجه الشيخان وأصحاب السنن ولا يزيد عن مروياتهم الصحيحة شيئاً(١).

وما سبق يدل على بعد نظر عند القاسمي وفهم لقواعد الإسلام عميق، فهو وإن كان في ميزان واقعنا من الأمور المسلمة، ألا أنه يجب ألا يغيب واقع عصره عن أذهاننا، والجمود الديني والفكري الذي كان عليه الأمر.

الأصل التاسع: الالتزام بالأخلاق الإسلامية الفاضلة

رزق الله الشيخ القاسمي مكارم الأخلاق، حتى عرف برقة حاشيته، ولين عريكته، وبشاشته لضيفه، وقد كان الالتزام بالأخلاق الإسلامية الفاضلة منهجا له في سائر شؤون حياته، ولا سيما فيما يتعلق بشؤون الدعوة إلى الله تعالى، وكان يرى أن ذلك نابعا من قول الله تعالى: **{وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا}** [البقرة:٨٣]، وأن الأخلاق الفاضلة لها تأثير على المدعوين في القبول، وكان يرى أن النصيحة لا تجدي نفعا إلا إذا عرضت باللين في القول، والتجرد عن شوائب الخشونة والبذاءة مما تنفر منه الطباع السليمة، ويرى أنه يجب على الناصح أن لا يكون نفورا ممن يهجره أو يطعن فيه، بل يتقرب منه ويجذبه بحسن أخلاقه، تأسيا بأخلاق النبي ﷺ في دعوة الناس، وكان يرى أن السلوك الإنساني يتغير بسبب المعاملة الحسنة الفاضلة، مثل ما أن تغيير سلوك البهائم يمكن بالمعاملة الفاضلة وهي لا تعقل، فكذلك تغيير السلوك الإنساني بالأخلاق، وأن هذا التغيير يحتاج إلى مجاهدة من الواعظ أو المؤدب، وذلك بعرض الوصايا والمواعظ والتأديبات المتعلقة بذلك(٢).

وكان يرى ضرورة ربط الأخلاق بالعلم والتعليم، وأنه لا ينفك أحدهما عن الآخر، لأن المرء إذا حسنت تربيته وتعليمه، حسنت أخلاقه، وإذا فسدت تربيته وتعليمه، انتكست أعماله، وساء خلقه، وأن سعادة الأمة أفرادا وجماعات متعلق بحسن الخلق واستقامة العمل، وكان يرى أن أخلاق المعلم أو المتعلم لها أثر قوي في نشر العلم وتعليم الناس، وذلك لأن العلم آلة تديرها الأخلاق، فإذا كانت الأخلاق فاسدة كان العلم فاسدا، ويكون كالسيف في يد المجنون، يضر به ولا ينفع، فالرجل لا يكون عظيما إلا بعلومه الكاملة، وأخلاقه وأعماله الفاضلة، وكان يرى أن أهم الواجبات الأخلاقية على المعلم أن يكون قدوة حسنة لطلابه، ويقوي فيهم كرم الخلق، والصبر، والثبات، والشجاعة، وحب الحق والعدل، والعفة والصدق، وأن يربيهم على احترام كل عظيم، حتى

---

(١) ينظر: محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي، ١٦٥/١.

(٢) ينظر: جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب: جمال الدين القاسمي ص٨٧.

يكونوا أعضاء حية نافعة في المجتمع الذي يعيشون فيه، وأن المعلم لم يمنح حق سياسة تهذيب الطلاب إلا لتمثله بذلك في سلوكه(١).

وكما كان يرى ضرورة حسن الأخلاق في العلم والتعليم فإنه يرى أنها واجبة في التعامل مع المخالف، وأن ذلك أدعى إلى جعله موافقا بدل أن يكون مخالفا، وكان يرى أنه من العدل أن لا يكون الاختلاف داعيا للتنافر فمادام أن صاحب الفكرة يعتقد بما يدعو إليه، فهو مخلص إذا في فكرته، لأن الاعتقاد في شيء أثر للإخلاص فيه، والمخلص في فكر ما إذا أخلص فيه يناقش بالحسنى؛ ليتغلب عليه بالبرهان، لا بالطعن وإغلاظ القول وهجر الكلام، لأن من صالحه تكثير سواد من يعتقد بفكرته، وكان يستدل بقول الله تعالى: **{وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ}** [العنكبوت:٤٦].وأن الله بين طريقة إرشاد أهل الكتاب بالخصلة التي هي أحسن، وهي اللين والأناة. وكان يرى أن الحق يصرع إذا عمد أصحابه إلى إظهاره بالسباب والشتائم وسوء الخلق. وقد جاءت أخلاق الشيخ القاسمي في الدعوة الى الله وفي العلم والتعليم وفي التعامل مع المخالفين منسجمة مع ما كان النهج الذي كان يراه ويدعو اليه(٢).

الأصل العاشر: الحرص على وحدة الأمة ونبذ الفرقة والاختلاف في جميع الجوانب

انطلق القاسمي في منهجه الدعوي من مقاصد الدين الكبرى، فكان داعية إلى الوحدة لا التفرق، فلم يشرع الدين ليتفرق الناس فيه، ولكن ليهدي إلى اتفاق العمل في جميع مناحيه، وأن من محاسن الدين قيام أحكامه على جلب المصالح ودرء المفاسد، والمصلحة الكبرى للمسلمين وواجبهم الديني الاعتصام بحبل الله وكلمته جميعاً، وعدم التفرق، والواجب هو اتفاقهم في الأصول المثبتة، وأن يعذروا بعضهم في الفروع، وقد تمثل القاسمي هذا في منهجه، ولذلك تراه يعتذر لجميع الدعاة في مناهجهم المتنوعة حتى المخالفة له، ويبرر أن سبب ما وقعوا فيه من مغالاة في الدعوة كمحمد بن عبد الوهاب، والغزالي في "إحياء علوم الدين"، هو سد ذريعة الخطأ والمعصية؛ لأن الدعوة إلى التوسط بادئ الأمر لا تنتج المطلوب إلا بعد أن يستعد المدعوون استعداداً يقتضيه الزمان والمكان، ويتسع نور الفكر.

وكان من حرصه على الوفاق وجمع كلمة المسلمين في التأليف أن يجتهد في استبانة حجة كل فريق من أصحاب المذاهب، وتقريب أحدهما من الآخر، بإظهار حجته أو شبهته، وحكاية ما يعارض الخصم به، لذا فكثيرا ما يغضب الخصمين معا، فيتهمه كل منهما بالتشيع للآخر، ولما كثر عليه المخالفون في آخر حياته آثر

(١) ينظر: المرجع السابق ص١٧.

(٢) ينظر: الجرح والتعديل: جمال الدين القاسمي ص٣٧.

العزلة والعمل بصمت حرصا على عدم تفريق الأمة، والدخول في مواجهة مع العامة ولو كانوا على خطأ حسب اجتهاده، وفضَّل في ذلك القلم على اللسان، لأنه أدوم وأبقى(١).

الأصل الحادي عشر: الاهتمام بالعلم والتعليم

نشأ القاسمي في بيئة رأى فيها أطلال العلم في بلده مطموسة، وقد كانت في السابق مقصدا يرحل الطلاب إليها، فأصبحت يرحل عنها، فكان المنهج الضروري فيها هو الاهتمام بالعلم والتعليم، وإيجاد نشء جديد من طلبة العلم يعلّمون تعليما صالحا يرجى أن يحيا بهم العلم ويحيوا به، وقد كان القاسمي قد درس على الطريقة المألوفة في مدارس المسلمين منذ قرون، وتلقى تلك الكتب التي اختارها المتأخرون للتدريس، ثم إنه لم يعد يقنع بها، لأنها غير ملائمة لحال الزمان والمكان.

وكان يرى ضرورة تعليم الناس العلوم النافعة لها، وضرورة البعد عن الجمود والتقليد، والاعتماد على الحجة والدليل والبرهان، ويرى أن هذا ركنًا من أركان الإصلاح في التدريس والتأليف؛ لأجل إقناع المستدلين والمقلدين معا، فيستدل بالأدلة النقلية فيما ما يثبت بالنقل، وبالأدلة العقلية فيما يثبت بالعقل، وهكذا الأدلة التجريبية وغيرها، ثم تأيد بالنقل عن العلماء السابقين، ولا سيما المشهورين.

وكان منهجه في العلم والتعليم تحرى مذهب السلف في الدين، ونصره في دروسه ومصنفاته، وما مذهب السلف إلا العمل بالكتاب والسنة، بلا زيادة ولا نقصان، على الوجه الذي كانوا يفهمونه في الصدر الأول.

وكان منهجه في العلم والتعليم أن يتحرى في المسائل الخلافية الاعتدال والإنصاف، واتباع ما يقوم عليه الدليل من غير تشنيع على المخالف ولا تحامل، وقد اتهم الفقيد بعض السلفيين بأنه خالف مذهب السلف في رسالته "تاريخ الجهمية والمعتزلة"، واتهمه بعض المستقلين بعثرة أخرى في رسالته "نقد النصائح الكافية" وهي أن حب الاعتدال وتقريب أحد الخصمين من الآخر أخرجه عن الاعتدال في بعض المسائل؛ ولكن بقصد الإصلاح(٢).

---

(١) ينظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص٢٤٩.

(٢) ينظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص٣٠٣.

المبحث الثالث: فوائد دراسة المنهج الدعوي للشيخ القاسمي في العصر الحاضر

توطئة: إن أهمية الدراسات الدعوية تكمن في الدروس والعبر المستفادة منها وكيفية ربطها وتنزيلها على العصر الحاضر، وإن المناهج والتجارب الدعوية تحتاج إلى القدوة والمثال الذي يحتذى ويقتدى، وإن أعظم مثال للدعوة والدعاة على الدوام هو منهج النبي ﷺ ودعوته، لذا حرص العلماء والدعاة على الاقتداء بها وضرب الأمثلة منها، كما حرصوا أيضا على الاقتداء والاهتداء بمن سار على منهج النبي ﷺ ممن جاء بعده من سلف الأمة –رحمهم الله–، ومن أولئك الدعاة الأعلام في هذا العصر الشيخ جمال الدين القاسمي، فقد جاءت حياته الدعوية على هذا المنهج المبارك، وقد احتفت سيرته الدعوية بكثير من الظروف والأحداث التي قد تتكرر مع الدعاة في عصرنا الحاضر، ولا سيما وأن الشيخ القاسمي من هذه العصور المتأخرة، فكان حريا بالدعوة والدعاة الإفادة من هذه السيرة العطرة، والحياة الدعوية الرائعة، وربطها بواقعنا المعاصر، رغبة في النهوض بالواجب الكفائي للدعوة إلى الله تعالى، وحرصا على الاقتداء بالمنهج النبوي، وتأكيدا على ملائمته لكل زمان ومكان.

وقد أمضى الشيخ القاسمي حياته في الدعوة إلى الله تعالى، ونشر العلم والاهتمام بالتعليم، وقد ترك خلفه تراثا كبيرا ومتنوعا، والعصر الحاضر بحاجة إلى الإفادة من هذا التراث الكبير في مسيرة الدعوة إلى الله تعالى، وللإفادة من هذه المسيرة نبرز النقاط الآتية:

١. الإفادة من منهج الشيخ القاسمي في ضرورة الالتزام بمنهج السلف الصالح –رحمهم الله– وأن الأمة لا يصلح أخراها إلا بما صلح به أولها، وأن المناهج الدعوية المخالفة لدعوة السلف لا يكتب لها البقاء ولا النجاح، ولا يكتب لأربابها النصر ولا الفلاح.
٢. الإفادة من تمسك الشيخ القاسمي بالعقيدة الإسلامية الصحيحة النقية من الشوائب، وأن المرجع فيها كتاب الله ﷻ، وسنة النبي ﷺ الصحيحة، وما صح من أقوال الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من سلف الصالح – رحمهم الله–، وأن أول ما يبدئ بتصحيحه عند المدعوين هي أمور ومسائل العقيدة؛ وذلك لأن الله ﷻ ربط صحة العقيدة بصحة ما بعدها من القرب والطاعات، وكان أنبياء الله ورسله عليهم السلام إنما يبدؤون بتصحيح العقيدة، ولذلك فإن المناهج الدعوية التي لا تعنى بعقيدة المدعوين أول الأمر فإنها مناهج جانبها الصواب كثيرا.
٣. الإفادة من منهج الشيخ القاسمي في محاربة البدع والرد المبتدعين، وأن ذلك بحاجة إلى منهج معتدل وواضح كما كان عليه القاسمي، فإنه كان عندما يدعو عامة الناس يتعامل معهم باللين والتلطف والرفق، لأن هذه البدع ألفوها منذ طفولتهم، وتوارثوها من آباءهم وأجدادهم، ولن تجدي معهم القسوة والغلظة في التغيير، بل لا بد من الرفق واللين، وأن هذا التغيير لن يأتي سريعا، بل يحتاج معه إلى وقت وصبر، وكذلك يحتاج معه إلى إقناع بالدليل والحجة، ويحتاج معه إلى ربط العامة بما كان عليه السلف الصالح في القرون المفضلة، والتبيين لهم هذه البدع لم تكن موجودة عندهم وهم أقرب الناس بالعهد النبوي، وأما رؤوس أهل البدع ودعاتهم فإن الشيخ

القاسمي –رحمه الله– كان يتعامل معهم بشيء من الحزم في الإنكار على البدع، والرد عليهم بالأدلة القطعية الواضحة، مع الالتزام بالأخلاق الفاضلة، والحرص على نقد الأفكار لا الأشخاص، ونقد الفعل لا الفاعل، فإذا وجد أن هؤلاء الرؤوس من أهل المكابرة والعناد فإنه يحذر الناس منهم بأعيانهم، وينبه على أخطائهم بأسمائهم.

٤. الإفادة من منهج الشيخ القاسمي في التعامل مع الآخرين بشكل عام، فقد كان يعامل الناس بأخلاقه لا بأخلاقهم، ولا يجعلهم يجرونه إلى أخلاقهم، وكان يرى أن هذا المنهج النبوي مفيد مع كل أحد، فهو لا يكثر المراء ولا الجدال مع مخالفيه، وإنما يرد الحجة بمثلها، ويبطل الدليل بالدليل، لذا فقد أسر كل من تعامل معه بأخلاقه الفاضلة حتى جعل من كبار مخالفيه وأعداءه من يعترف بفضله، بل ويعتذر له في آخر حياته، وبعد موته حضر جنازته الموافق والمخالف مثنيا وذاكر فضله وخلقه.

٥. الإفادة من منهج الشيخ القاسمي في تعلم العلم، فقد أخذ نفسه بالهمة العالية، والحرص على اغتنام الوقت، والجد في حضور الدروس والحلق، والجلوس بين يدي العلماء والمشايخ، والحرص على تعلم العلوم بأنواعها المختلفة، علوم الدنيا وعلوم الدين، لأن الداعية إلى الله تعالى يحتاج في مسيرته الدعوية إلى الإلمام بجزء من تلك العلوم؛ لمواكبة العصر الذي هو فيه، ولإمكان استخدامها في الدعوة الى الله تعالى، والتأكيد على أن الغرض الأسمى لتعلم العلوم هو خدمة دين الله تعالى، وتبليغ دينه للناس عامة.

٦. الإفادة من منهج الشيخ القاسمي في تأليفه للكتب والمؤلفات، وأن التأليف لا بد أن يكون لهدف خدمة الدعوة، فإن الشيخ القاسمي كان له هدف واضح من كل مؤلف ألفه، وكل الأهداف تصب في خدمة الدعوة سواء كانوا دعاة أو مدعوين، لذا فقد جاءت مؤلفاته مفيدة ومتنوعة، وجاءت ملامسة لحاجة في المجتمع، فهو يؤلف تارة لتصحيح عقيدة فاسدة، أو للرد على بدعة منكرة، أو للحث على فضيلة غائبة، وهكذا، وقد كانت المطبعة في عصره في بدايتها في الشام، وأكثر الكتب كان مخطوطا، فكان قبل تأليف لأي كتاب يبحث في المكتبة الظاهرية عن مخطوط خدم الهدف الذي يراه، فإن وجد فإنه يخرجه للناس محققا ومصححا على وفق مراد مؤلفه، ولا يختار من مخطوطات السلف إلاّ من عرف بالتحقيق والتدقيق، ككتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وكتب الإمام الشاطبي وغيرهم، وإن لم يجد ما يخدم الهدف المطلوب شمر ساعده للتأليف.

٧. الإفادة من منهج الشيخ القاسمي في ضرورة الاهتمام بنصوص الكتاب والسنة النبوية الصحيحة، وأنه يجب على طلاب العلم والدعاة إلى الله تعالى الاهتمام بتبليغ المدعوين نصوص الوحيين، وأن أهم ما يجب صرف الجهود عليه هو علمي التفسير والحديث، لأنهما يعتمدان على الكتاب والسنة، والأمة كلما تأخر زمانها عن زمان النبوة كلما ضعف ارتباط أفرادها بهذين المصدرين العذبين في العلم والتعليم، لذا كان هذا الواجب على الدعاة في هذه الأزمان المتأخرة أوجب، والحمل عليهم أثقل.

٨. الإفادة من منهج الشيخ القاسمي في وعظ الناس ونصحهم، وأنه لابد من الاقتصار في ذلك على الوارد في القرآن الكريم، والصحيح الثابت من السنة النبوية، وأن ما ورد فيهما غنية عن غيرهما من الضعيف فضلا عن الموضوع أو المكذوب، وكان ينبه طلابه دائما إلى هذا المنهج في الوعظ والنصح، ولا سيما وأن زمانه قد راجت فيه الأحاديث الضعيفة، ووجدت لها آذانا صاغية، وقلوبا متعطشة، وقد كان هذا هو السبب لتأليفه كتاب

"موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين"، وكتاب "الوعظ المطلوب من قوت القلوب"، لذا فمن المناسب الإفادة من هذين الكتابين، وقراءتهما على العامة في المساجد، فهما قد جمعا بين الوعظ ومراعاة الصحة والاختصار.

٩. الإفادة من كتب الشيخ القاسمي التي ما زالت مخطوطة، وهي موجودة اليوم في مكتبة أسرته بدمشق، مع الحرص على مراجعتها وتصحيحها، لأن الشيخ القاسمي قد أوصى بعدم طبعها إلا بعد المراجعة والتصحيح، خاصة ما ألفه قبل سنة ١٣٢٠هـ، فقد نص على أن له فيها وقفة، وإن من الغبن الشديد أن تختار دمشق سنة ٢٠٠٨م عاصمة للثقافة العربية، ولا يلفت الانتباه ولو بإشارة يسيرة إلى الشيخ القاسمي، ولا سيما وأن له كتابا كبيرا في تاريخ دمشق، فقد أرخ لها منذ وصول الفتح الإسلامي إليها وحتى زمانه، ثم ضم إليه كثيرا من المعلومات والفوائد المتعلقة بالشام، وهو كتاب كبير يقع في ٤ أجزاء، ولعل المطلع على أحوال الشام في هذا الزمان لا يخفى عليه السبب الذي جعل مثل هذا العلم العظيم من أعلام دمشق لا يلتفت إليه، والشيخ القاسمي لاشك أنه أول من أدخل دعوة السلف إلى الشام كلها، فإبراز علم مثله يكون فيه دعاية وترويج لمنهجه، لذا كان أفضل تعامل منهم معه هو إغفال اسمه، وعدم إبرازه في هذه المناسبة العلمية الثقافية، ولن يضره ذلك، فإن التاريخ لا ينسى آثار القاسمي ومآثره في خدمة الإسلام والمسلمين عامة، وخدمة بلده دمشق الشام خاصة.

١٠. الإفادة من الشيخ القاسمي في حرصه على بذل العلم للناس عامة، وتعليم وتربية طلاب خاصة، والحرص على تنشئتهم نشأة صحيحة، والاهتمام بكل جزء في حياة طلابه، حتى في شؤونهم الخاصة، والاهتمام بشؤون الدين والدنيا، ليتوازن لديهم الاهتمام بالعلم والعمل، وكان من شدة حرصه ودقته في تربيتهم أنه كان يصحبهم في رحلاته وسفراته، وينص على أن اصطحابه لهم إنما هو لغرض متابعة التربية لهم حضرا وسفرا، وكان لا يغفل عنهم حتى في طريقة أكلهم ولباسهم وتعاملهم مع الآخرين، وتراه في كل ذلك ينصح ويوجه ويأمر وينهى، وكان يرى طلاب العلم في كل مكان وزمان يحتاج لهم مثل ذلك، حتى لا تكون لديهم فجوة بين العلم والعمل، أو تكون لديهم فجوة بين العلم والأخلاق، وهذا من أبرز ما يستفاد من الشيخ القاسمي في النواحي التطبيقية.

١١. الإفادة من الشيخ القاسمي في دعوته إلى الله تعالى، وأنه كان يراعي الواقع الذي يعيش فيه، فقد كثر في زمانه كبت الحريات، واضطهاد المصلحين، فلم يمنعه ذلك من العمل للدين وخدمة الإسلام والمسلمين، بل اجتهد في العمل وفق ما توفر له من وسائل، مع مراعاة عدم إثارة الحكومة أو الأعداء المتسلطين؛ حتى لا ينقطع نور الخير الذي يحمله، لذا نراه لما كثرت عليه المحن والمصائب بسبب دعوته السلفية، ومنع من العمل الدعوي ومن مخالطة الناس ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنه لم ينقطع عن الدعوة إلى الله البتة، بل صرف جزءا من وقته في تربية خواص طلابه، وجزءا آخر في التأليف، وكان يرى أن وسيلة تأليف الكتب في زمانه يؤدي النتيجة نفسها التي تؤديها المحاضرات والدروس وغيرها من صنوف العمل الدعوي بل تزيد، فالكتاب يقع في يد الموافق والمخالف، وقد ينتفع به ويهديه الله بسببه، فلم يقطع على نفسه هذا الباب من الخير، ولم يصده ذلك أيضا أن يعمل للدين مراعيا لما توافر لديه من أسباب ممكنة، حتى أنه في تأليفه للكتب أيضا لم يكن يصرح بأقواله وآرائه، وإنما كان يكتفي بما ينقله من أقوال السلف الصالح –رحمهم الله– مما يعبر عن رأيه، والسبب في ذلك أنه كان يراعي الحال في زمانه، فقد اتهم بالإتيان بمذهب جديد في الدين، وخشي إن صرح

بذكر آرائه دون ذكر أقوال السلف أن يعتقد أن هذا من كلامه، وأنه لم يسبقه فيه أحد، فتصدق التهمة عليه، لذا كان يكثر من النقل والجمع من أقوال السلف في كتبه، وهذه فائدة عملية للدعاة إلى الله تعالى أن ينهجوا مثل هذا المنهج في طريقهم في الدعوة إلى الله تعالى، مع مراعاة ما يتوافر لهم من ظروف وأسباب.

١٢. الإفادة من الشيخ القاسمي في الرحلة والسفر لأجل تبليغ الناس العلم الشرعي، والدعوة إلى الله تعالى، وأن الداعية كلما وجد حاجة الناس له في مكان أكثر، والأثر أبلغ كلما حرص على ذلك المكان، فإن القاسمي لما انتدبته الحكومة للنصح والإرشاد في بلاد حوران، ولم تندبه مرة أخرى رحل اليهم بنفسه، لأنه أدرك حاجة الناس له، مع ما هم فيه من الجهل والغفلة، وهذه فائدة عملية للدعاة في إيصال الخير الذي وصل إليهم إلى الناس، وكم في زماننا من الحاجة إلى الدعوة إلى الله مع سهولة ويسر الوسائل، فإن الدعاة بإمكانهم إبلاغ الدعوة دون الرحلة والسفر مثل ما كان في زمان القاسمي.

الخاتمة

نتائج البحث: بعد دراسة المباحث السابقة أصل إلى أهم النتائج المستخلصة والمتعلقة بالدعوة الى الله:

١. الشيخ جمال الدين القاسمي من العلماء العاملين، والدعاة الفاعلين، وكان إماما وقدوة ومثالا حيا لمقتفي ومحبي آثار السلف الصالح في جميع شؤون حياته الشخصية والعلمية والدعوية.

٢. الظروف المحيطة بالشيخ القاسمي في أغلب النواحي لم تكن ملائمة ومناسبة للدعوة الى الله تعالى، ولكنه استطاع أن يطوعها ويتغلب على كثير من مصاعبها.

٣. الشيخ جمال الدين القاسمي طرق أغلب الأساليب، واستخدم عددا من الوسائل، وتنقل بين عدة مناهج في الدعوة الى الله تعالى، حسب الزمان، والمكان والظروف والأحوال.

٤. اهتمام الشيخ القاسمي بالعلم وتمكنه منه وحرصه على الازدياد منه وحبه للعلماء وحرصه على الإفادة منهم كل ذلك كان واضحا وملموسا في حياته الشخصية والدعوية، لذا فقد كان عالما موسوعيا، وداعية مجتهدا.

٥. الثبات على المبدأ، والقوة في الحق، صفات لازمت الشيخ القاسمي كثيرا في حياته، خاصة بعد جهره وإعلانه لأفكاره وآرائه السلفية.

٦. تميز الشيخ القاسمي كثيرا في جانب الأخلاق الفاضلة، والمعاملة الحسنة، في جميع الأحوال، ومع كافة الأشخاص، وقد كان لذلك أثر واضح وملموس في مسيرته العلمية والدعوية.

٧. ركز الشيخ القاسمي في دعوته على تصحيح العقيدة، وتنقيتها من شوائب الشرك والبدع والخرافة، وعمل على الرد على كثير من البدع المتعلقة بذلك، سواء في دروسه أو مؤلفاته أو في مناظراته.

٨. حرص الشيخ القاسمي في حياته على التجديد في عرض الدعوة، للخروج بها عن المألوف غير النافع، والرجوع بها الطريق النافع طريق سلف الأمة.

٩. اهتم الشيخ القاسمي في مسيرته الدعوية بمسائل الاجتهاد في الدين، داعياً الى إطلاق العلماء وطلبة العلم نظرهم في الأدلة؛ لاستنباط الأحكام منها مباشرة، مما يعين على مواكبة العصر.

١٠. كان الشيخ القاسمي شديد الحرص على تربية الشباب وطلبة العلم على منهج السلف، ويؤكد على أهمية ذلك في

حفظ اتجاه الأمة جيلا بعد آخر، وأن تكون على يد العلماء العاملين.

المراجع والمصادر

١. إصلاح المساجد من البدع والعوائد: جمال الدين القاسمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٣٩٩هـ
٢. انتشار دعوة الشيخ محمد عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية: د. محمد كمال جمعة، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ط٢، ١٤٠١هـ.
٣. تنبيه الطالب إلى معرفة الفرض والواجب: جمال الدين القاسمي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ
٤. الجرح والتعديل: جمال الدين القاسمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ.
٥. جمال الدين القاسمي سيرته الذاتية بقلمه، جمع: محمد ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ.
٦. جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي، المطبعة الهاشمية، دمشق، ط١، ١٣٨٥هـ.
٧. جمال الدين القاسمي: د. نزار أباظة، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٨هـ.
٨. جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب: جمال الدين القاسمي، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤١٧هـ
٩. خطبة الحاجة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه، الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٤٠٠هـ
١٠. رسائل في العقيدة: د. محمد إبراهيم الحمد، بحث غير مطبوع وهو منشور في الموقع الرسمي لـ د. محمد بن إبراهيم الحمد على الشبكة العنكبوتية العالمية.
١١. سنن ابن ماجه، مكتبة المعارف، الرياض، ط٢، ١٤١٧هـ.
١٢. سنن الترمذي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٦م
١٣. شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الاستانبولي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.
١٤. الشيخ جمال الدين القاسمي واختياراته الفقهية: سامي الفريضي، دار كنوز أشبيليا، الرياض، ط١، ١٤٣١هـ.
١٥. صحيح سنن ابن ماجه، الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ.
١٦. صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
١٧. صحيح وضعيف سنن الترمذي، الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ
١٨. العلامة جمال الدين القاسمي: محمد رياض المالح، مركز جمعة الماجد، دبي، ط١، ١٤١٤هـ.
١٩. الفتح المبين في طبقات الأصوليين: عبد الله بن مصطفى المراغي، مطبعة أنصار السنة المحمدية، مصر، ط١، ١٣٦٦هـ.
٢٠. كتابة البحث العلمي صياغة جديدة: د. عبد الوهاب أبو سليمان، دار الشروق، جدة، ط٦، ١٤١٦هـ.
٢١. لسان العرب: لابن منظور، دار المعارف، القاهرة.

٢٢. مبادئ علم أصول الدعوة: د. محمد بن يسري إبراهيم، دار طيبة، القاهرة.
٢٣. مجلة المقتبس: العدد ٨٥، مقال بعنوان: السيد جمال الدين القاسمي، لمحمد كرد علي.
٢٤. مجلة المنار: مجلد ١٥، مقال بعنوان: ميزان الجرح والتعديل، لجمال الدين القاسمي
٢٥. مجلة المنار: مجلد ١٧، مقال بعنوان: مصاب مصر والشام برجال العلم وحملة الأقلام، لمحمد رشيد رضا.
٢٦. محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
٢٧. المدخل إلى علم الدعوة: د. محمد بن عبد الله أبو الفتح، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٢٢هـ.
٢٨. المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق، القاهرة، ط٤، ١٤٢٥هـ.
٢٩. منادمة الأطلال ومسامرة الخيال: عبد القادر بن بدران، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ
٣٠. موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين: جمال الدين القاسمي، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ

References and sources

1. Reform of mosques of innovations and returns: Jamal al-Din al-Qasimi, Islamic Office, Beirut, I4, 1399 Ah
2. Sheikh Mohammed Abdul Wahab's invitation spread outside Arabia: Dr. Mohammed Kamal Juma, King Abdul Aziz's Circle, Riyadh, I2, 1401H.
3. Alerting the student to know the imposition and duty: Jamal al-Din al-Qasimi, Dar Ibn Hazm, Beirut, I1, 1430 Ah
4. Wound and modification: Jamal al-Din al-Qasimi, Al-Resala Foundation, Beirut, i1, 1399 Ah.
5. Jamal al-Din al-Qasimi's autobiography by Mohammed Nasser al-Ajami, Dar al-Bashair al-Islami, Beirut, I1, 1430 Ah.
6. Jamal al-Din al-Qasimi and his era: Zafer al-Qasimi, Hashemite Press, Damascus, I1, 1385 Ah.
7. Jamal al-Din al-Qasimi: Dr. Nizar Abaza, Dar al-Qalam, Damascus, I1, 1418 Ah.
8. Mosques of Literature in The Morals of Reproduction: Jamal al-Din Al Qasimi, Dar Ibn Al-Kabir, Damascus, I1, 1417 Ah
9. The sermon of need that the Messenger of God, peace be upon him, was teaching his companions, Albanian, Islamic Bureau, Beirut, t4, 1400 Ah
10. Letters in The Faith: Dr. Mohammed Ibrahim Al-Hamad, an unprinted research published on the official website of Dr. Mohammed bin Ibrahim al-Hamad on the

World Wide Web.

11. Sinan Ibn Majh, Knowledge Library, Riyadh, i2, 1417 Ah.
12. Sinan Al-Tarmadi, Dar al-Gharbi al-Islami, Beirut, I1, 1996
13. Sheikh al-Sham Jamal al-Din al-Qasimi: Mahmoud Mahdi Al-Astanbouli, Islamic Bureau, Beirut, I1, 1405 Ah.
14. Sheikh Jamal al-Din al-Qasimi and his doctrinal choices: Sami al-Faridi, House of Treasures of Seville, Riyadh, I1, 1431 Ah.
15. True Sinan Ibn Majh, Albanian, Knowledge Library, Riyadh, i1, 1417 Ah.
16. Sahih Muslim, Arab Heritage Revival House, Beirut, i1, 1412 Ah.
17. True and weak Sinan Al-Tarmadi, Albanian, Knowledge Library, Riyadh, I1, 1420 Ah
18. Jamal al-Din Al Qasimi: Mohammed Riad al-Maleh, Juma al-Majid Center, Dubai, I1, 1414 Ah.
19. Conquest shown in fundamentalist classes: Abdullah bin Mustafa al-Maraghi, Ansar al-Sunna Al-Muhammadiyah Press, Egypt, i1, 1366 Ah.
20. Writing new scientific research: Dr. Abdul Wahab Abu Suleiman, Dar al-Shorouk, Jeddah, I6, 1416 Ah.
21. Tongue of the Arabs: Ibn Ma'er, Dar al-Ma'ad, Cairo.
22. Principles of The Origins of Da'wa: Dr. Mohammed bin Yousry Ibrahim, Dar Taybeh, Cairo.
23. Quoted magazine: Issue 85, article entitled: Mr. Jamal al-Din Al Qasimi, by Mohamed Kurd Ali.
24. Al-Manar Magazine: Volume 15, Article entitled: The Balance of Wound and Modification, by Jamal al-Din Al Qasimi
25. Al-Manar Magazine: Volume 17, article entitled: Egypt and the Levant with the Men of Science and the Pens Campaign, by Mohamed Rachid Reda.
26. Interpretation: Jamal al-Din al-Qasimi, Scientific Book House, Beirut, I1, 1418 Ah.
27. Entrance to the science of da'wa: Dr. Mohammed bin Abdullah Abu al-Fath, Al-Resala Foundation, Beirut, i3, 1422 Ah.
28. Intermediate Dictionary: Arabic Language Complex, Al Shorouk Library, Cairo, i4,

1425 Ah.

29. Al-Talal and Samaria al-Khayal: Abdelkader Ben Badran, Islamic Bureau, Beirut, I2, 1405 Ah

30. Sermon of believers from the revival of religious sciences: Jamal al-Din al-Qasimi, Dar al-Nafis, Beirut, I1, 1401 Ah